

ثارو (القنطرة)

التي كان فيها سجن يوسف

﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا نَصْرَفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ [يوسف: ٣٣].

﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ ﴾ [يوسف: ٣٦].

﴿ يَصْنَعِي السِّجْنَ أَزْيَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَجْدُ الْقَهَّارُ ﴾ [يوسف: ٣٩].

﴿ وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي ﴾ [يوسف: ١٠٠].

** الأحداث التي وقعت في هذا المكان :

دخل يوسف السجن بعد الذي حدث بينه وبين امرأة عزيز مصر والنسوة اللاتي دعتهن إلى حفلها، وقطعن أيديهن.

لعل عزيز مصر وجد في هذا السجن خلاصاً من المشكلة التي تؤرقه مع زوجته وفتاها.

في السجن.. كان يوسف يهدى الحائرين في ظلمات الشرك والكفر.

كان يوسف سجيناً مع سجينين آخرين، كان أحدهما ساقى الملك، وكان الآخر خبازاً في قصر الملك، أتت في جريمة وضع سم للملك في طعامه أو شرا به، وسجنهما الملك، وكانا يعلمان عن يوسف صدق تفسير الرؤيا وحكمته، كما يعرفان عنه وداعته وحبه للخير والصلاح بين الناس.

راى كل منهما حلماً.. عرضا على يوسف أن يفسر لهما حلميهما.

قال أحدهما:

﴿ إِنِّي أَرَبْتُ ثَمَرًا ﴾ [يوسف: ٣٦].

وقال الآخر:

﴿إِنِّي أَرِنِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّرِيْقَ مِنْهُ نَبِيْتَنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنْ
الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٣٦].

واضح من خلال هذه الأحداث أن يوسف كان قد بُعث نبياً، لأنه كان قد تجاوز
الثلاثين من عمره.

قبل أن يجيب يوسف على سؤالي السجينين، وقبل أن يفسر لكل منهما حلمه، رأى
أن يدعوهما إلى الإيمان بالله، وأن ينبذا تلك الآلهة التي يعبدها المصريون، ويرمزون
لها بأشكال وصور مثل: حورس، ست، انوم، رع، أوزوريس سخمت^(١).

سأل يوسف السجينين:

﴿بَصَّحْتِى السِّجْنِ، أَرْيَاكِ مُتَفَرِّقَاتٍ خَيْرٌ أَمْ أَللهُ الْوَّاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ
دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ لَمْ يَشْتُمُوهُمَا أَشْرٌ ابْتَأْتَكُمْ مَا أَنْزَلَ اللهُ بِهَا مِنْ سُلْطَنٍ إِنْ أَلْحَكُمُ إِلَّا اللهُ أَمْرٌ
إِلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الَّذِيْنَ أَلْفَمُوا وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [يوسف: ٣٩ -
٤٠].

ثم فسر يوسف للرجلين حلميهما، وقال لهما:

أما الساقى، فستظهر براءته، وسيعود إلى القصر، يسقى الملك، كما اعتاد، أما
الخباز، فستثبت عليه الجريمة، وتنتهى حياته.

وصدقت نبوءة يوسف، فقد أفرج عن الساقى، وأعدم الخباز.

وحينما خرج الساقى من السجن بريئاً، قال له يوسف:

- اذكرنى عند ربك.

كانت هذه هى المرحلة الأولى ليوسف فى السجن.

(١) هذه أسماء لعدة آلهة كان المصريون القدماء يعبدونها، أما الإلهة سخمت فكان يعبدها الهكسوس
(موسوعة تاريخ مصر).

أما المرحلة الثانية، فكانت بعد أن رأى الملك حلمًا عجيبيًا. قال له من حوله:

﴿إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ الْأَعْيُنُ فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [يوسف: ٤٣].

عجز كهنة الملك ومستشاروه وذوو الرأي في الدولة عن تفسير حلم الملك، اعتبروه أضغاث أحلام.

عند ذلك تذكر ساقى الملك يوسف، وصدق تحقيق رؤياه، وكان الشيطان قد أنساه ما عاهد عليه يوسف بعد خروجه من السجن.

لذلك أسرع الساقى، وأخبر الملك أن الذى يستطيع تفسير هذه الرؤيا هو يوسف الذى سجنه عزيز مصر.

لا داعى لتفصيل مزيد من الأحداث، فقد وضحت براءة يوسف واعترفت امرأة العزيز ونسوة المدينة بالحقيقة، أعطى يوسف للملك تفسيرًا واضحًا، أعلن فيه للملك عن حكمته ورجاحة عقله.

أخبر يوسف الملك أن السبع سنابل تشير إلى أن مصر سيفيض نيلها، ويكثر خيرها خلال سبع سنوات، بعدها تأتى سبع سنوات، تنخفض فيها مياه النيل، ويشح الماء، ويقل إنتاج المحاصيل.

وعلى الملك أن يخترن القمح بسنابله خلال السبع سنوات الأولى، ليضمن على حياة المصريين، وعدم تعرضهم للجوع خلال السبع سنوات العجاف. وفى النهاية خرج يوسف من السجن.

تلك هى الأحداث التى وقعت ليوسف فى سجن مدينة ثارو والتى انتهت بأن جعله الملك أمينًا على خزائن مصر، ليتولى خزن القمح فى سنوات الخير السبع، ويوزعه على المصريين فى السنوات السبع المجبة.

**** زمن هذه الأحداث تاريخياً :**

استمراراً لمتابعة الزمن الذى حدثت فيه أحداث النسوة وامرأة العزيز، والتي قلنا إنها كانت حوالى سنة ١٦٦٥ ق. م.

ويقال أن يوسف استمر فى سجنه عشر سنوات، يمكن أن نذكر أن هذه الأحداث، كانت ما بين سنة ١٦٦٥ ق. م حتى ١٦٥٥ ق. م.

**** موقع مدينة ثارو :**

تعرف الآن هذه المدينة باسم القنطرة، تقع عند مدخل مصر الشرقى، تخترقها الآن قناة السويس، وكانت تبعد عن العاصمة أفاريس بحوالى ١٠ كم.

حديثاً اكتشف فيها قاعدة تمثال للصفير، عليه نقوش وصورة للفرعون سيتي الأول، تبعد القنطرة حالياً عن الإسماعيلية بحوالى ٣٠ كم، وعن القاهرة ٩٥ كم.

أرض جاسان : مصر

التي دخلها يعقوب عليه السلام وبنوه

﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَىٰ أَبِيهِ وَرَأَىٰ لَوْنَهُ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ ءَايِينَ ﴿١١﴾ ﴾

[يوسف: ٩٩].

** قصة أحداث المكان:

عُيِّنَ ملك مصر يوسف أمينًا على خزائنها، حتى يتحكم في القمح الذي ستنتجه أرض مصر خلال السبع سنوات الخضر، ليخترنه، ليكون مصدرًا لإطعام المصريين خلال السنوات السبع العجاف.

ونجح يوسف في مهمته.. استطاع أن يجنب الشعب المصري مشقات الجوع خلال السبع السنوات التي أجذبت عنها الأرض.

في تلك الفترة، كان الجذب قد وصل إلى أرض فلسطين (كنعان)، حيث يعيش نبي الله يعقوب وبنوه الذين هم أخوة يوسف.

بعث يعقوب أبناءه العشرة (ما عدا صغيرهم بنيامين) ليشتروا قمحًا من مصر، والتقوا بيوسف، فعرفهم، ولكنهم لم يعرفوه، فقد تغيرت صورته وملابسه ولغته، وكان يوسف كريمًا مع إخوته، أعطاهم ما أرادوا وردَّ إليهم بضاعتهم.. وطلب منهم أن يحضروا معهم في المرة الثانية أخاهم الصغير، ليزيد لهم في بضاعتهم كميلاً، وعادوا إلى بلادهم في فلسطين.

طلب إخوة يوسف من أبيهم يعقوب أن يرسل معهم أخاهم الصغير بنيامين، ولكن يعقوب رفض، خوفاً عليه من أن يناله ما نال يوسف، حتى وافقهم أخيراً، بعد أن تعهدوا له بالحفاظ على سلامته.

جاء أبناء يعقوب إلى مصر، ومعهم بنيامين شقيق يوسف، وأحبهم إليه، فأجزل يوسف لهم العطاء.

الْقَرِينَةُ اللَّتَّى تَمْنَى الْكِفَارَ أَوْ يَنْزِلَ الْقِرَاءَ عَلَى أَحَدٍ عَظِيمِهِمَا

بحيلة استطاع يوسف أن يتهم إخوته بالسرقة.. بعد أن وضع صواع الملك في رحل أحدهم.

ولما قُتِلَ رجال الملك إخوة يوسف، وجدوا صواع الملك في رحل بنيامين..
هكذا أصبح بنيامين السارق لصواع الملك، فَحُقَّ عليه أن يكون عبدًا للملك، كانت هذه عقوبة السارق.

أخذ رجال الملك بنيامين إلى يوسف، باعتباره السارق.
قابل يوسف أخاه بعطف وحنان، وأخبره بحقيقته، وأنه هو شقيقه الذي ألقى به إخوته في الجب، وادعوا لأبيهم أن الذئب قد أكله.
سعد بنيامين في رحاب أخيه يوسف.

تمضى الأحداث بعد ذلك حيث حاول أكبر أبناء يعقوب أن يسترد أخاه بنيامين، مقابل أن يكون أحد الأخوة فداءً له، وذلك لاعتزاز أبيه به، لكن يوسف رفض هذه المقايضة، وأصر على أخذ بنيامين.

واكتشف الإخوة بعد ذلك الحقيقة.. إن يوسف الذي القوه في الجب هو الذي أصبح أمينًا على خزائن مصر.

وحين سأل يوسف إخوته عن حال أبيهم، أخبروه أنه ما يزال يعيش على ذكرى ولده يوسف، لا يفتر لسانه عن ذكره، وأن بصره قد فقد من شدة الحزن عليه.
عند ذلك.. دفع يوسف قميصه إلى إخوته، وطلب منهم أن يعودوا إلى فلسطين، ليأتوا بأبيهم وأهله.

وهكذا.. حضر يعقوب وأهله إلى مصر ^(١) مرحبًا بهم يوسف، وقال لهم:

(١) مصر ذكرت في القرآن الكريم أربع مرات في قوله تعالى: ﴿ وَأَوْسَعَٰ إِلَٰهٌ مُّوسَىٰ وَآلِيهِ أَنْ يَأْتِيَهُمُ الْيَتِيمَٰتُ بِصِرَاطٍ يُؤْتُوا وَيَتَّبِعُوا صِرَاطَهُمْ إِتْقَانًا وَأَقْسَامًا وَأَتَىٰهَا الْعَصَاةُ وَنَشِرَ لِشُرَكَائِهِمْ ﴿٨٧﴾ [يونس: ٨٧].

﴿أَدْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ ءَامِينَ﴾ [يوسف: ٩٩].

** زمن هذه الأحداث :

بمتابعة الأحداث التي عاشها يوسف في مصر منذ مجيئه إليها سنة ١٦٩٠ ق. م، ومعروف أن بنى إسرائيل (يعقوب وبنوه) دخلوا مصر سنة ١٦٣٥ ق. م.

يمكن القول إن أحداث مجيء أبناء يعقوب إلى مصر منذ المرة الأولى للحصول على قمح، وأن لقاءهم مع يوسف دون أن يعرفوه، تلك الأحداث التي انتهت بحضور يعقوب وأهله إلى مصر في المرة الثانية، كان ذلك كله خلال فترة سنوات الجذب التي أصابت مصر من سنة ١٦٤٠ ق. م حتى سنة ١٦٣٥ ق. م والتي انتهت بدخول بنى إسرائيل مصر.

** موقع المكان :

لا نعى المكان هنا موقع مصر الجغرافي، فحدود مصر معروف أنها تقع في الجنوب الشرقي لقارة إفريقيا، وأنها تطل على البحرين الأحمر والأبيض المتوسط، وغيرها من المعلومات التي يعرفها كل مصري.

لكننا نريد هنا أن نحدد موقع المكان من مصر الذي دخله بنو إسرائيل بعد أن لقيهم يوسف ورجاله عند مكان عرف بعد ذلك باسم العريش..

استكمالاً لأحداث قصة يوسف، كما جاءت في العهد القديم، سفر التكوين، الإصحاح

﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَحْضِرِي مِثْطَبَةً عَلَيَّ أَوْ نَعْمًا أَوْ تَعِيذًا ۖ وَلَئِن كُنْتُ لَمَكَّةً لِيُوسَفَ فِي الْأَرْضِ
وَلَعَلَّكُمْ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ۖ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٨﴾﴾ [يوسف: ٢١].
﴿سَلَامًا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوِيَةً إِلَيْهِ ءَاوِيَةً وَقَالَ أَدْخُلُوا مِصْرَ إِن ﴿٩٩﴾﴾ [يوسف: ٩٩].
﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ ۖ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ خَيْرٌ لِي مِنْ قَحْطِ أَقْلَابِ عِبْرَةَ ﴿١٠١﴾﴾ [الزخرف: ٥١].

أما كلمة مصر في قوله تعالى: ﴿أَفِيضُوا مِصْرًا ۖ إِنَّ نَجْمَكُمْ مَأْسَأَةٌ﴾ [البقرة: ٦١]، فهي لا تعنى مصر المعروفة، ولكنها تعنى ما يشبه الولايات.. هي مصر التي جمعها أمصار.. لأن مصر ممنوعة من الصرف، وهي في هذه الآية مصروفة. (المؤلف).

٤٧ والذي جاء فيه:

فأتى يوسف وأخبر فرعون مصر، وقال: إني وإخوتي وغنمهم وبقرهم كلهم جاءوا إلى مصر، فقال فرعون ليوسف، أرض مصر قدامك، في أفضل أرض اسكن أباك وإخوتك؛ ليسكنوا في أرض جاسان، وبارك يعقوب فرعون. (الفرات ١ - ١٢)

وهكذا سكن بنو إسرائيل في أرض جاسان، وانتقلوا من أرض كنعان إلى قطعة من أرض مصر.

تقع أرض جاسان في أقصى شرق الدلتا في منطقة تقع شمالها بحيرة المنزلة، وامتدادها في الجنوب نحو الصحراء الشرقية بمصر، مكانها الآن يضم منطقة مراكز محافظة الشرقية؛ بليس، وفاقوس.

وهكذا شاء الله ليعقوب وبنيه أن يدخلوا مصر، ليكون لهم دور كبير في الأحداث التي وقعت بعد ذلك في عهد نبي الله موسى، كما سيتضح.

* * * * *

تبوك

أصحاب الأيكة

﴿ وَإِنْ كَانَ أَحْصَبُ الْأَيْكَةِ لَطَّالِيمِينَ ﴿٧٨﴾ ﴾ [الحجر: ٧٨].

﴿ كَذَّبَ أَحْصَبُ لَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ ﴾ [الشعراء: ١٧٦].

﴿ وَنَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادُ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَحْصَبُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمٌ تُبِيعَ كُلُّ كَذِّبِ الرُّسُلِ فَحَقَّ

وَعِبْدُ ﴿١٤﴾ ﴾ [ق: ١٢ - ١٤].

** تمهيد:

الأيكة: معناها الغيطة الملتفة أشجارها وأغصانها وفروعها.

** الأحداث التي وقعت في هذا المكان:

كان أهل هذه المنطقة سبى السلوك والأخلاق، مثل قوم مدين، وكانوا يطففون الكيل والميزان، يزيدون فيه إذا اکتالوا لأنفسهم، وينقصونه إذا اکتالوا لغيرهم.

كانوا يكفرون بالله، ويعبدون الأيكة، يسجدون لها، ويلتفون حولها، يدعونها إليها لهم.

بعد أن انتهى نبي الله شعيب من مهمته مع قوم مدين.. بعثه الله رسولا إلى أهل الأيكة، قال لهم:

﴿ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٧﴾ إِنْ لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿٣٨﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿٣٩﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرْتُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٠﴾ * أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ﴿٤١﴾ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ﴿٤٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [الشعراء: ١٧٦ - ١٨٣].

لكن أصحاب الأيكة رفضوا طاعة شعيب، واستمروا على كفرهم وضلالهم وفسادهم، وقالوا:

﴿ وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَطْنُكَ لَمِنَ الْكَذِبِيِّنَ ﴿٦٨﴾ فَاسْقِطْ عَلَيْنَا كَيْفَا مِمَّنَ السَّمَاءِ إِنْ

كُنْتُ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٧٧﴾ [الشعراء: ١٨٦ - ١٨٧].

ورغم بلاغة شعيب ورجاحة عقله وقوة حجته^(١)، إلا أن أصحاب الأيكة عصوه، فاستحقوا عقاب الله لهم.

أنزل الله على أصحاب الأيكة بابًا من أبواب جهنم.. بردًا قارسًا، وحرًا لافحًا، فأخذ بأنفاسهم، ولجنوا إلى دورهم، فلم تحمهم من الحر والبرد، ثم بعث الله إليهم سحابة، فتنادوا مع بعضهم، ليحتموا في ظلها، فألهب الله السحابة عليهم نارًا، ورجفت الأرض من تحتهم، فاحترقوا جميعًا فأصبحوا في دارهم جاثمين.

** زمن هذه الأحداث:

قال الرواة: إن نبي الله شعيب كان عصره في الفترة من سنة ٦٠٠ ق.م إلى سنة ٤٩٠ ق.م، وكانت بعثته سنة ١٥٥٠ ق.م.

ومعنى هذا أن هذه الأحداث وقعت حوالي من سنة ١٥١٠ ق.م إلى سنة ١٤٩٠ ق.م تقريبًا.

أي بعد الفترة التي وقعت فيها أحداث أهل مدين.

ونحن نتحدث عن تيوك، لا ننسى ما حدث فيها خلال العصر الإسلامي.

علم الرسول أن الرومان يتجهزون بجيش لمهاجمة المدينة المنورة، وضرب المسلمين في عقر دارهم.

في هذا العام.. كان الجو شديد الحرارة، أجذبت الأرض، وتساقطت الثمار عن أشجارها، وضئت السماء بأمطارها. ويخلت الأرض، فلم تنتج كلاً.

مع ذلك.. جهز الرسول جيشًا، عرف بجيش العسرة، (للعسرة في هذا العام).

(١) شعيب: هو شعيب بن ميكيل بن يشجر بن مدين (مديان) بن إبراهيم عليه السلام من زوجته قنطورة التي تزوجها بعد موت سارة وهاجر، وكان يعرف بأنه خطيب الأنبياء، لبلاغته وفصاحته وقوة حجته، كما عرف بكثرة صلاته وتقواه.

قصص الأماكر في القرآن الكريم

تبارى المسلمون في التبرع لتكوين هذا الجيش، وابتعد المنافقون.

كان جيشاً قوامه ٣٠.٠٠٠ مقاتل وعشرة آلاف من الخيول ومثلها من الإبل.

تحرك جيش المسلمين من المدينة، يتقدمهم رسول الله ﷺ وكبار الصحابة في رجب سنة ٩ هـ في طريقهم إلى تبوك.

المسافة بين المدينة المنورة وتبوك حوالي ٦٨٠ كم. قطعها المسلمون في ظروف شاقة من الحر والعطش، حتى كانوا ينحرون الإبل؛ ليشربوا ما في بطونها من ماء!! وكان الرجال أو الثلاثة يتناوبون ركوب بعير واحد.

وصل جيش المسلمين إلى تبوك بعد أكثر من أسبوعين، لكنهم فوجئوا بأن جيش الرومان قد ابتعد.. أحس جنود الرومان أنهم لا طاقة بهم على مواجهة جيش المسلمين، فهربوا.

وبقى الرسول بتبوك بضعة عشر يوماً، عاد بعدها المسلمون إلى المدينة، بعد أن تعاهد الرسول مع كثير من القبائل على السلام.. منها قبائل إيالة في نهاية خليج العقبة، وتعهدوا بدفع الجزية.

لا شك أن جيش تبوك كان بداية مرحلة هامة في حياة الرسول.. مهد الطريق بعد ذلك للمسلمين إلى فتح بلاد الشام في سنوات تالية.

من أجل هذا، فالتاريخ لا ينسى تبوك أيام الرسول.

**موقع تبوك؛

تكاد تبوك تنتصف المسافة من المدينة المنورة ومدخل بلاد الشام.

تقع تبوك في الشمال الغربي للمملكة العربية السعودية، في منطقة مساحتها أكثر من عشرة آلاف كم^٢.

حينما دخل الرسول تبوك، بنى فيها مسجداً من الطوب اللبن، وسقفه بجذوع النخيل. صورة مما كان عليه مسجد الرسول في المدينة المنورة.

القريتان اللتان تمئى الكفار أن ينزل القرآن على أحد عظيميهما

بعد ذلك.. أعيد تشييد هذا المسجد بالحجارة.

اكتشف بثبوك قلعة، يرجع تاريخها إلى حوالى سنة ٢٠٠٠ ق.م.

على مقربة من ثبوك، تقع بلاد مدين التي سنتحدث عنها فى قصة موسى عليه السلام.

اليوم

الذي أُلقت فيه أمُّ موسى ابنها

﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فِإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي ۗ إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [التقصير: ٧].

** الأحداث التي وقعت في هذا المكان:

في حلم رآه فرعون مصر أن ناراً مشتعلة جاءت من جهة الشرق، أحرقت معظم دور مصر، ما عدا دور العبرانيين.. بنى إسرائيل!!

عرض فرعون حلمه على كهنة دينه، فقالوا له، تفسيراً لحلمه:

- هذا يعني أنه سيخرج من بنى إسرائيل واحد منهم، سيكون سبباً في هلاك ملكك، وأن عليه أن يقضى على حياة هؤلاء العبرانيين الدخلاء عن مصر، ليأمن شر عداوتهم للمصريين:

لذلك؛ قرر فرعون مصر أن ينتقم من العبرانيين، وكان يعلم عنهم سوء سلوك أجدادهم وحياتهم، وأنهم كانوا يتآمرون مع الهكسوس أعدائهم.

أمر فرعون رجاله أن يجوبوا شوارع ودور أرض جاسان، حيث يعيش العبرانيون يذبحون الأطفال، ويبقروا بطون الحاملات من النساء، ليخرجوا أجنثهم على نصال سيوفهم.

خلال تلك الفترة، وضعت يوكابد طفلها . لم تسمه باسم، ولكنه عرف بعد ذلك باسم موسى.

كم كانت يوكابد حزينة، يملؤها الخوف والفرع على ابنها، كلما طرق بابها طارق، تُحدثها نفسها أنهم رجال فرعون حتى أنها ذات مرة، لتخفي ابنها، ألقت به في اتون لم تهدأ بصيص ناره خوفاً عليه من سكاكين رجال فرعون، ولكن الله كتب لابنها السلامة.

الْقَرِيْنَةُ اللَّتَّى تَمْئِي الْكُفَّارَ أَوْ يَنْزِلُ الْقِرَاءَةَ عَلَى أَحَدٍ عَظِيمِهِمَا

فبينما يوكابد ذات يوم في أحزانها ومخاوفها.. سمعت هاتفاً، يهتف بها:

﴿أَرْضِيْبِيْ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ كَأَلْفِيْهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِيْ إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِيْنَ ﴿٧﴾﴾ [التصنص: ٧].

كان زوجها عمران قد ساقه رجال فرعون، مثل غيره من رجال بني إسرائيل، ليعبدوا الطرق، أو يحفروا الترع، أو يقيموا الجسور..

في سرية تامة.. اتخذت يوكابد طريقها إلى أحد النجارين، وطلبت منه أن يصنع لها صندوقاً محكماً، لا تتسرب المياه بداخله، دون أن تخبره بحقيقة ما أرادت.

عادت يوكابد إلى دارها، فأرضعت طفلها، ووضعت في الصندوق، وحملتته على رأسها، وسارت حتى إذا بلغت مكاناً ألفت بالصندوق في النوم، كما أمرها الهاتف، وقالت لابنتها:

- قصيه.. تابعيه، واعرفني أين يرسو.

وعادت يوكابد إلى دارها.

كان صباح يوم ندى، حين خرجت جواري سيده فرعون ومعين ابنتها يلعبين ويمرحن في مياه النيل.

كُن سعيْدَات، تعلو وجوههن ابتسامة الرضا، والفرحة تملأ صدورهن.

كان قصر فرعون على أحد فروع النيل القديمة في الدلتا، والذي كان معروفاً باسم الفرع الباليوزي، حيث تقع العاصمة برر عمسيس عاصمة الرعامسة الشمالية، وحيث يوجد قصر فرعون، تجرى من تحته مياه النهر.

رما الصندوق الذي كان به الطفل بجوار إحدى أشجار الصفصاف على شاطئ النيل.

في لفظة سريعة من الجوارى.. رأين الصندوق بجانب الشجرة التي تدلت فروعها كأنما تستحم في مياه النهر.

قصص الأماكر في القرآن الكريم

أسرعت الجوارى... تتقدمهن الأميرة إلى الملكة ، وأخبرتها بما حدث...

ما كادت الملكة امرأة فرعون تفتح الصندوق، حتى رأت فيه طفلاً جميلاً، يمص إصبعيه، دليلاً على شدة جوعه، كان وجه الطفل يشرق بهاء ونوراً، يوحى لمن يراه بالرغبة في العطف عليه.

أمرت الملكة جوارى القصر أن يأتين بمرضعة للطفل، فأتين لها بكثير من المرضعات، ولكن الطفل رفض أن يرتضع من إحداهن.

كانت أخت الطفل تراقب الموقف، فقالت للملكة:

- هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم، برضاعته ورعايته؟

تحمست الملكة لفكرة الفتاة، وطلبت منها أن تفعل.

عادت الفتاة أخت الطفل إلى أمها يوكابد، وأخبرتها بما حدث لأخيها، وأن عليها أن تصحبها إلى قصر فرعون، لترضع ابنها الطفل.

وسعدت الملكة وابنتها والجوارى حينما ألقت المرأة ثديها للطفل، فارتضع منها.

وما كان الجميع يدرون أن المرأة كانت أكثر منهن سعادة، وهي ترضع وليدها، دون أن يعرفن جميعهن أنها أمه، فبالسعادة يوكابد بعودة ابنها إلى أحضانها ولهفتها عليه ولأن الطفل وجد بين الماء والشجر، فقد أسمته الملكة (موسى).

** الزمن التاريخي لأحداث مولد موسى وإلقائه في اليم:

إذا علمنا الظروف التاريخية التي ولد فيها موسى عليه السلام، ندرك عدة حقائق منها:

١ - أن مولد موسى عليه السلام كان في عهد أحد فراعنة مصر، يؤكد هذه الحقيقة أن كثيراً من الآيات القرآنية في قصة موسى كانت تذكر كلمة فرعون، وليست الملك، كما في عهد يوسف. من هذه الآيات الكريمة:

﴿ وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلَّوْنَا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾ (٨٨)

[يونس: ٨٨].

الْقُرَيْبَانِ اللَّتَانِ تَمَّتْ الْجَفَارُ أَنْ يَنْزِلَ الْقُرْآنُ عَلَى أَحَدِ عَظِيمِهِمَا

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾ إِلَيْكَ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِۦ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾﴾ [هود: ٩٦ - ٩٧].

﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٩٨﴾ إِلَيْكَ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِۦ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ ﴿٩٩﴾﴾ [المؤمنون: ٤٥ - ٤٦].

﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنْ أَنْتَ الْغَلَامُ الْغَلِيلِيُّ ﴿١٠٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ لَا يَسْقُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [الشعراء: ١٠ - ١١].

٢ - ومن دراسة وقائع التاريخ التي نقول بأن بني إسرائيل دخلوا مصر حوالي سنة ١٦٣٠ ق.م، وخرجوا منها هاربين مع موسى حوالي ١٢٠٥ ق.م، ومن متابعة الأحداث، نقول حقائق التاريخ: إن فرعون مولد موسى هو رمسيس الثاني أحد ملوك الأسرة التاسعة عشرة من ملوك الدولة الحديثة.. إحدى دول تاريخ مصر القديمة.

ومعروف أن رمسيس الثاني حكم مصر من سنة ١٣٠١ ق.م حتى سنة ١٢٢٤ ق.م أي حوالي ٧٧ سنة، وأن موسى كان مولده سنة ١٢٥٠ ق.م، أي أن مولده كان في عهد رمسيس الثاني فرعون مصر في ذلك الوقت.

ونذكر صفحات التاريخ أن رمسيس الثاني كانت إحدى زوجاته اسمها (إست نفرة)، وهي التي استقبلت الصندوق الذي كان فيه موسى من الجوارى، وهي التي رعته، وتبنته وحافظت عليه، واتبعت دين موسى بعد ذلك، أمنت بالله رباً، وبموسى رسولاً من عنده.

ولعل هذا الاسم الفرعوني إست نفرة حُرف بعد ذلك إلى العربية باسم (أسية).

وإذا كان القرآن الكريم لم يذكر اسم امرأة فرعون كما في قوله تعالى:

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا أُمَّرَاتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَبِحَبْلِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ. وَبِحَبْلِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١١﴾﴾ [التحریم: ١١].

فإن الرسول ﷺ ذكر اسم امرأة فرعون صراحة في عدة أحاديث باسم (أسية)، منها

قوله ﷺ:

قصص الأماكر في القرآن الكريم

((خير نساء العالمين أربع: مريم بنت عمران، وآسية امرأة فرعون، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد))^(١).

نخرج من كل هذا بأن الزمن الذي أُلقت فيه أم موسى بابنها في اليم، كان زمن فرعون مصر (رئيس الثاني) حوالي ١٢٥٥ ق. م.

** موقع المكان :

اليم قد يعنى النهر أو البحر، وهو عبارة عن مساحة واسعة من المياه. من دراسة الخريطة الجغرافية لمصر في تلك الفترة، وخاصة منطقة الدلتا، ندرك ما يأتي:

١ - أن عدد فروع النيل في مصر في تلك الفترة، كانت ستة فروع، وليست اثنان كما هو الآن.

٢ - بعض هذه الفروع كانت تقع في شرق الدلتا، وتصب في بحيرة المنزلة. من أهم هذه الفروع كان الفرع الباليوزى، الذى كانت تقع عليه مدينة برر عمسيس^(٢) العاصمة الشمالية لدولة الرعامسة.

في قصر يقع على هذا الفرع، كان قصر فرعون، قصر تجرى من تحته مياه النهر، وفي هذا القصر كانت تعيش الملكة إست نفرة التى عرفت باسم (آسية).

في شرق الدلتا وفي منطقة جاسان (جزء من محافظة الشرقية)، كان يسكن العبرانيون الذين كانوا يعرفوا ببني إسرائيل (أولاد يعقوب)، تلك المنطقة التى أسكنهم فيها يوسف بعد مقدم أبيه وأهله إلى مصر.

أى أن بوكابد حين أُلقت بابنها في اليم، كما هتف بها الهاتف، أُلقت به في مكان غير بعيد عن المنطقة التى يسكن فيها بنو إسرائيل.

(١) رواد أمس بن ملك (البنداية والنهاية ج ١، ص ٤٥٠).

(٢) مكانها الآن قرية قنتير.. إحدى قرى مركز محافظة الشرقية.

القريتان اللتان تمئى الكفار أن ينزل القرآن على أحد عظيميهما

ولأن جوارى قصر فرعون هن اللاتي انتشلنه، فمعنى هذا أن الصندوق ألقى في مكان يقع جنوب قصر فرعون، حتى جرفه التيار معه في طريقه نحو الشمال إلى القصر.

إذن.. أم موسى ألفت بابنها في منطقة تقع جنوب العاصمة برر عمسيس الواقعة على النهر، الفرع الباليوزى..

ومما يُروى أن بعض الرواة ذكروا أن اسم موسى الذي أسمته به آسية كان يعنى موسى أى ابن الفيل^(١).

(١) مصر في القرآن والسنة ص ١٠٨.

بَرَّ عَمْسِيَس

المدينة التي قتل فيها موسى الرجل المصري

﴿ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَةِ هَذَا مِنْ شِيعَةِ هَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَعْتَنَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ ﴾ [التقصص: ١٥].

** الأحداث التي وقعت في المدينة :

ذات يوم..

كان موسى يسير في شوارع المدينة (المدينة التي نحن بصدد الحديث عنها) فرأى رجلين.. أحدهما عبراني من شيعته من بنى إسرائيل يتشاجر مع رجل مصري، قال بعض الرواة: إنه كان أحد رجال القصر الفرعوني، وأنه كان يعمل خبازاً في القصر.

كان الشجار بين الرجلين.. قائماً، لأن المصري كان معه حمل ثقيل، يطلب من العبراني أن يحمله عنه، ليوصله إلى القصر الفرعوني.. صورة من صور السخرة التي كثيراً ما كانت تقع للعبرانيين في تلك الفترة من التاريخ.

رأى موسى هذه المشاجرة بين الرجلين، ولأن موسى عبراني من بنى إسرائيل، فقد كان عليه أن يقف بجوار بنى جلدته، فناصره على المصري. صحيح أن موسى كان ربيباً لفرعون مصر، وهو الذي ربيته امرأة فرعون أسية (است نفرة) وابنتها. رعيتاه طفلاً، فتشأباً، ولكن موسى كان يجد في نفسه حياءً وهوى لقومه من بنى إسرائيل، بعد أن أدرك أنه واحد منهم.

لاشك أن موسى حاول الإصلاح بين المتنازعين، لكنه وجد أن كلا منهما مصرّ على موقفه: المصري مصر على أن يحمل العبراني عنه الحمل الذي يحمله، والعبراني مصرّ على ألا يفعل ما يريده المصري.

وأحس موسى أن العبراني على حق، وأن المصري على خطأ، فضرب المصري

الْقَرِينَةُ اللَّتَّى تَمَّى الْكُفَّارَ أَوْ يَنْزِلُ الْقِرَاءَ عَلَى أَحَدٍ عَظِيمِهِمَا

بقبضة يده ضربة ألقته قتيلاً، وابتعد عنه، بينما هرب العبراني.

فلما كان اليوم التالي، أو لعله كان بعد عدة أيام، رأى موسى نفس العبراني يتشاجر مع مصري، لعل هذه العبراني استهوته الفكرة، وأسعده موقف موسى منه ومن قومه بالأمس.

استغاث العبراني بموسى، ولكن موسى هذه المرة كان يحس بخطنه فيما فعله بالأمس، وقال إنك لغوى مبین وذهب ليبطش بالذى هو عدو لهما فظن العبراني أن موسى غضب منه. فاستشاط العبراني غضباً، وبدت سوء نواياه، فقال لموسى:

﴿ فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قُتِلْتَ نَفْسًا يَا لَأَمْسٍ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١١﴾ [القصص: ١٦].

هكذا قلب العبراني لموسى وجه سوء النية، أعلن للملأ حوله، أن موسى هو الذى قتل المصرى بالأمس.

علم فرعون بحقيقة ما فعله موسى، ولا شك أن فرعون لم يكن يحب موسى، لذلك أمر فرعون بالقبض على موسى، ومحاكمته ومعاقبته.

لا ندرى هذا الفرعون هل كان رمسيس أم غيره، فستتضح الحقيقة بعد ذلك.

هذه هي الأحداث التي وقعت في المدينة التي نحن بصدد الحديث عنها.

* الزمن التاريخي لهذه الفترة.

لم يذكر القرآن الكريم، ولا العهد القديم من هو الفرعون الذى كان يحكم مصر أثناء هذه الفترة، ولكن علينا أن ندرك الحقائق التالية:

١ - انتهى حكم رمسيس الثانى سنة ١٢٢٤ ق.م، وتولى بعده ابنه مرنبتاح التى كانت أمه إست نفرة (أسية) وزوجته هي الأميرة إيست نفرة ابنة أسيا، فقد تزوج مرنبتاح أخته، وكان هذا أمراً عادياً.

ومعنى هذا أنه إذا اعتبرنا أن رمسيس الثانى أباً أو جداً لموسى، فيمكن أن نعتبر

مرثباح خالاً أو أباً لموسى. بحكم ربوبية موسى في قصر فرعون.

وإذا نظرنا إلى منطوق الآية (١٥) من سورة القصص، والتي جاء فيها:

﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا﴾ [القصص: ١٥].

فإن هذا كان يعنى أنه حينما وقعت هذه الحادثة، كانت المدينة شبه خالية من سكانها؛ لانشغال الناس بأمر آخر خارج مدينتهم.

ولعل هذا الموقف دفع بعض الدارسين إلى أن يربطوا بين هذه الحادثة، وبين وفاة رمسيس الثانى في ذلك اليوم من عام ١٢٢٤ق.م، وأن انصراف الناس عن مدينتهم في هذا اليوم، كان لتوديعهم جثمان الفرعون رمسيس الثانى إلى مستقره الأخير في عاصمته الدينية طيبة والتي وجدوا فيها جثمانه.

ويمكن أن نسلم بهذه الحقيقة، إذا أتركنا أنه سبق أن ذكرنا أن حكم رمسيس الثانى كان فى الفترة من ١٣٠١ق.م حتى ١٢٢٤ق.م، وأن مولد موسى كان سنة ١٢٥٠ق.م.

أى أن موسى في هذا اليوم كان عمره ٢٦ سنة.. شاباً قوياً.

مع التجاوز في التاريخ عن خمس أو عشر سنوات زيادة أو نقصاً، كما يقول علماء التاريخ.

** موقع مكان المدينة الذى وقعت فيه الأحداث:

من الواجب علينا أن نستبعد أن تكون المدينة هي طيبة، فهي بعيدة جداً عن منطقة سكن العبرانيين في أرض جاسان شرق الدلتا، وطيبة قصرت أهميتها على الناحية الدينية، في ذلك الوقت، ولم تعد لها صفة العاصمة السياسية التي انتقلت إلى الشمال.

وقال البعض إنها مدينة منف، ولكن الحقيقة أن منف لم تكن لها أهمية في تلك الفترة، كما أنها هي الأخرى بعيدة عن موطن العبرانيين في جاسان.

أقرب مدينة إلى هذه الأحداث هي مدينة برر عمسيس التي كانت العاصمة السياسية

القريتان اللتان تمئى الكفار أن ينزل القرآن على أحد عظيميهما

الشمالية لدولة الرعامسة، وهى إحدى المدن التى سخر فيها الفراعنة كثيراً من العبرانيين فى بنائها، فعلى مقربة منها انتشل جوارى قصر فرعون موسى، فيها تربى موسى فى قصر فرعون فى رعاية الملكة إست نفرة (أسية) وعلى مقربة منها، كان سكن العبرانيين فى أرض جاسان حيث أنزلهم فيها يوسف.

هذه المدينة مكانها الآن قرية قنتير مركز فاقوس بمحافظة الشرقية.

ماء مدين

حيث التقى موسى مع ابنتي شيخ كبير

﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصَدِرَ الرِّعَاءَ وَأَنتَ شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ [التقصص: ٢٣].

﴿ إِذْ تَمْشِي لُغَمَامُكَ فَنَقُولُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ ۖ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۗ وَقَلَّتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ ۖ وَفَتَّكَ فُلُونًا فَلَيْتَ سَيِّئِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يٰمُوسَىٰ ﴿٦٤﴾ ﴾ [طه: ٤٠].

** قصة الأحداث التي وقعت في هذا المكان:

بعد أن قتل موسى المصري.. أدرك أن جند فرعون ورجاله يتراصّدون له، ليقبضوا عليه، فنصحه رجل مخلص أن يهرب، ونلّه على الطريق الذي يسلكه.. بعيداً عن تجمعات بعض القبائل التي تعمل بالزراعة أو الرعي، أو تجمعات عمال المناجم.

لم يكن موسى قد استعد بالزاد، أو هياً نفسه معنوياً لهذه الرحلة التي كانت أشبه بمغامرة غير محسوب نتائجها، إلا أنه كان معتمداً على الله.

مضى موسى في طريقه خلال جنوب شبه جزيرة سيناء وشرقها، يجتاز الروابي، وبهبط الأودية، ويتسلق بعض مرتفعاتها التي كانت تعرّض طريقه.. يفتات أوراق الشجر، يمتص عيدان الحشائش، يشرب من قيعان الوديان ماء كدراً.. حتى بلغ إلى مكان ما شرق خليج العقبة.

هدأ موسى يستظل بظل شجرة باسقة بعد طول صراع مع الخوف، ومشقة الطريق، ولسعات الجوع والظما.. جلس موسى في ظل الشجرة، يستروح عندها نسيمات تريح خاطره.

عن قرب.. رأى موسى جمعاً كبيراً من الرعاة، يصطحبون أغنامهم، يتزاحمون

الْقَرِينَةُ اللَّتَّى تَمْنَى الْجَفَارَ أَوْ يَنْزِلَ الْقِرَاءَ عَلَى أَحَدٍ عَظِيمِهِمَا

على حوض صخرى من الماء، كل واحد يريد أن يقترب من الحوض؛ ليسقى أغنامه.
على غير بعيد.. رأى موسى فتاتين فى مقتبل شبابهما، تزدان بأغنامهما عن رحمة
الرعاة.

اقترب موسى من الفتاتين، وسألهما:

- ما خطبكما؟

فى استحياء.. قالت الفتاتان:

﴿لَأَسْقَى حَتَّى يُصَدِّرَ الرِّعَاءَ﴾ [القصص: ٢٣].

فى استعطاف.. أنطق الله لسانهما، فقالتا:

﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ [٢٣] [القصص: ٢٣].

رغم ما كان يحس به موسى من تعب وجوع، إلا أنه شعر بدافع قوى يدفعه إلى
مساعدة الفتاتين، إنها مشيئة الله وقدره الذى قدره.

زاحم موسى الرعاة بأغنام الفتاتين وسقاها لهما فى مودة، حتى إذا انتهى مما فعل،
عاد إلى مجلسه تحت الشجرة، وهو ينادى ربه:

﴿رَبِّ إِنِّى لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَّىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [٢٤] [القصص: ٢٤].

عادت الفتاتان إلى أبيهما الشيخ مبكرتين، على غير العهد بذلك، ولما
سألها أبوهما أخبرتهما بما كان من أمر ذلك الفتى الشجاع الذى ساعدهما،
وسقى لهما أغنامهما.

لأن الله كان له فى ذلك مشيئة، طلب الشيخ من إحدى ابنتيه وهى الصغرى أن
تعود، لتأتى بالفتى، وسيكون معه لقاء.

عادت الفتاة إلى موسى، وأخبرته بما قاله أبوها، فصحبها إلى دارها، حيث التقى
بأبيها الشيخ.

كان الشيخ مؤمناً.. طيباً.. حكيماً.

حكى موسى للشيخ قصته.. مولده، تربيته في قصر فرعون، وحكى له عن قومه بنى إسرائيل، وقصتهم في مصر مع يوسف.

عرض الشيخ على موسى أن يستأجره ثمان أو عشر سنوات على أن يتزوج إحدى ابنتيه.

وتراضى الشيخ وموسى على ما تعاهدا عليه، ليقضى الله أمراً كان مفعولاً.
وهكذا شاء الله لموسى أن يعيش في أرض مدين.

** زمن هذه الأحداث :

حاول كثير من الرواة أن يتعرفوا على زمن هذه الأحداث، فربطوا بين موسى ونبي الله شعيب^(١).

لكن الدراسات التاريخية التي ترتبط بهذه الأحداث تؤكد أنه لا توجد علاقة زمنية بين موسى وشعيب.

فنبى الله شعيب كان يعيش في الفترة ما بين ٦٠٠ ق.م حتى ١٥٠٠ ق.م.
فإذا تتبعنا أحداث قصة موسى عليه السلام، نجد أنه كان في فترة متأخرة عن هذا التاريخ، فبين موسى وشعيب ٣٠٠ سنة.

والدراسة التاريخية تؤكد أن هذه الفترة كان يحكم فيها مصر الفرعون مرتيناح الذى خلف أباه رمسيس الثانى، وكان ذلك بين ٢٢٤ ق.م حتى ٢١٤ ق.م هى الفترة التى هرب فيها موسى من مصر.. وذلك استناداً لبقية الأحداث التالية.

معنى ذلك أن الشيخ الذى تزوج موسى ابنته ليس هو نبي الله شعيب، وإنما

(١) شعيب: سبقت ترجمة له في قصة الأيكة، إحدى قصص هذا الكتاب.

القريظة اللات تمم الكفار أم ينزل القرآن على أحد عظيمهما

هو الشيخ بثرون، الذي كان كاهناً.. ويقال إنه كان ابن أخ لشعيب، أو لعله كان واحداً من أحفاده.

نخرج من كل هذا بأن زمن هذه الأحداث كان يتزامن مع حكم مرنبتاح في مصر.

** موقع المكان :

من خلال هذه الأحداث ندرك أن المكان الذي استقر فيه موسى عند صهره بثرون، كان بأرض مدين.

أرض مدين هذه تقع شرق خليج العقبة، وامتدادها شرق البحر الأحمر، وهذه المنطقة الآن جزء من المملكة العربية السعودية، تقع في شمالها الغربي.

أرض هذه المنطقة صخورها حجرية، بها بعض الجبال مثل جبل الخنشان وجبل برارة وجبل اللوز، بالإضافة إلى بعض المنخفضات الصخرية التي كانت تستخدم كمخازن للمياه في فصل الأمطار الشتوية.

تمتد بلاد مدين من رأس خليج العقبة عند دائرة عرض ٢٩° شمالاً إلى دائرة عرض ٢٦° شمالاً تقريباً.

ويقول الرواة إن عاصمتها كانت تسمى البدع، كانت تقع شرق العقبة، فهي بذلك تشمل مساحة كبيرة من شمال غرب المملكة العربية السعودية.

ومعروف أن هذه المنطقة جغرافياً تتبع شبه مناخ البحر الأبيض المتوسط، الصيف الذي يمتاز بجفافه وحرارته، واعتداله، وأمطاره شتاءً.

والأمطار التي تسقط على هذه المنطقة في فصل الشتاء نتيجة لهبوب الرياح العكسية الغربية التي تتشعب ببخار الماء من البحر الأحمر وخليج العقبة، وحينما تهب على هذه المنطقة تسقط أمطارها.

طبيعة هذه المنطقة صخرية، تكثر فيها المنخفضات الصخرية، وبعض

الجبال القليلة الارتفاع.

من أجل هذا كان السكان يختزنون مياه الأمطار في هذه الأحواض الصخرية، كي يستخدموا ما اختزنوه في فصل الجفاف، فصل الصيف.

ولعل موسى حين سقى الأغنام ابنتى الشيخ يثرون، سقاها من أحد هذه الأحواض، حتى قال بعض المؤرخين: إن الحوض كان عليه غطاء هو صخرة كبيرة ثقيلة، استطاع موسى بشجاعته وقوته أن يزيع هذه الصخرة عن فوهة الحوض، ليسقى الأغنام، ومما يؤكد هذا ما ذكرته الفتاة لأبيها عن موسى فى قوله تعالى:

﴿ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَجِرْ لِىَ خَيْرٌ مِّنْ اسْتَجِرْتُ الْقَوِيَّ الْأَمِينُ ﴿٦٦﴾ [التقصص: ٦٦].

الوادي المقدس طوى

﴿ قَلَّمَا أَنهَا تُوِي يَمُوسَى ﴿١١﴾ إِنْ أَنَا رَبُّكَ فَأَخْلَعُ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ ﴾

[طه: ١١ - ١٢].

﴿ وَتَدْرِيتهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبَهُ نَجِيًّا ﴿١٣﴾ ﴾ [مريم: ٥٢].

﴿ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مِمَّا أَنسَهُمْ مِنْ

تُنذِرِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [التقصص: ٤٦].

** قصة الأحداث التي وقعت في هذا المكان:

بعد أن انتهى موسى ^(١) من مدة العهد الذي تعاهد عليه مع الشيخ يثرون، كان في

لهفة للعودة إلى مصر.

أعطاه صهره بعض الأغنام، واصطحب موسى معه زوجته صافورة، وولديه

جرشون وعازر اللذين أنجبهما في غربته في أرض مدين.

مضى الجميع في الطريق من مدين عاندين إلى مصر.

ناه موسى وأهله في الطريق، وكان البرد قارساً شديداً، والليله مظلمة حالكة السواد.

كان على موسى أن يجد ناراً، يستدفئ بها هو وأهله، فوجد حجرتين، فلم يوريا

ناراً!!

من بعيد.. رأى موسى ناراً مشتعلة، فقال لأهله:

﴿ أَمْكُرُوا إِلَيَّ ءَأَنْتُمْ نَارًا تَلْعَلِي ءَأَنْتُمْ مِّنْهَا يَفْتِيسُ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى ﴿١٥﴾ ﴾ [طه: ١٠].

ترك موسى أهله، وذهب متجهاً إلى النار.

كان موسى قد وصل إلى المكان المقدس طوى، ولدهشته رأى شجرة خضراء، قد

(١) هو موسى بن عمران (عمرام) بن قاهت بن عازر من بني لاوى بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم

(عليهما السلام)، هو أحد أولي العزم من الرسل.

اشتعلت فيها النار، لا الشجرة تحترق، ولا النار تنطفئ!!

ما كاد موسى يقترب من الشجرة، حتى سمع صوتاً يناديه:

﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا أَخَذْتُكَ بِأُذُنَيْكَ لَمَّا بُوْحَى ﴿١٣﴾
إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴿١٤﴾﴾ [طه: ١١ - ١٤].

وما يملك موسى إلا أن يخلع نعليه، تقديساً للمكان الذي نزل به، وتنفيذاً لأمر ربه، وقد غلبته الدهشة والخوف.

بعد حين.. سمع موسى الهاتف يناديه:

﴿وَمَا تَأْتِكَ بِسَمِينِكَ يُمُوسَى ﴿١٧﴾﴾ [طه: ١٧].

قال موسى:

﴿هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَنَازِلُ أُخْرَى ﴿١٨﴾﴾ [طه: ١٨].

عاد الصوت يناديه:

﴿أَلْقِهَا يَمُوسَى ﴿١٩﴾ فَالْقَنَاطِطُ إِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ﴿٢٠﴾﴾ [طه: ١٩ - ٢٠].

فما كاد موسى يلقي عصاه، حتى تحولت إلى حية تسعى.

امتزجت دهشة موسى بالفرع، لكنه سرعان ما اطمأن إلى الصوت، وهو يناديه:

﴿حُدَّهَا وَلَا تَخَفْ سَتُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى ﴿٢١﴾﴾ [طه: ٢١].

وسعد موسى حين قبض على الحية، فإذا هي قد عادت عصا.. اختفت الحية!!

مرة ثانية.. عاد الصوت يناديه:

﴿وَأَضْمُكُمْ يَدَكُمْ إِلَى جَنَابِكُمْ نَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سَوَاءٍ آيَةً أُخْرَى ﴿٢٢﴾﴾ [طه: ٢٢].

أدخل موسى يده في جيبه، ثم أخرجها فإذا هي بيضاء تضيء المكان حوله.

وعاد الصوت ينادي:

الْقَرِينَةُ اللَّتَّى تَمْنَى الْكُفَّارُ أَنْ يَنْزَلَ الْقُرْآنُ عَلَى أَحَدٍ عَظِيمِهِمَا

﴿فَذَرِكْ بَرَهْمَتَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٣٢﴾﴾

[التقصص: ٣٢].

هنالك.. عادت إلى ذهن موسى صورة ما وقع منه في مصر، حين قتل أحد المصريين، وأن لسانه أعجز من أن يناقش فرعون، فنأدى ربه:

﴿رَبِّ إِنِّي قُلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِي هَارُونَ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْمًا يَصْدِقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾﴾ [التقصص: ٣٣ - ٣٤].

قال الله لموسى:

﴿فَأَذْهَبَا بِتِلْكَ آيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَوِعُونَ ﴿٣٥﴾ فَأَيَّا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾﴾

[الشعراء: ١٥ - ١٦].

هذا ما حدث في الوادي المقدس طوى، وللأحداث بقية في أماكن أخرى.

** زمن هذه الأحداث:

بمتابعة لأزمة الأحداث السابقة واللاحقة، نستطيع أن نقول: إن هذه الأحداث وقعت حوالي ما بين سنة ١٢١٥ ق. م إلى سنة ١٢١٣ ق. م وهي الفترة التي كانت في أواخر عهد الفرعون مرتباج (الذي تولى الحكم من سنة ١٢٢٤ ق. م - ١٢١٤ ق. م) وبداية عهد الفرعون سبتي الثاني (١٢١٤ ق. م حتى غرقه حوالي سنة ١٢٠٤ ق. م).

** موقع المكان:

الوادي المقدس طوى: هي المنطقة التي تقع بين جبل موسى ومدينة الطور، وستحدث عن جبل موسى بعد ذلك.

معروف أن مدينة الطور تقع جنوب غرب جبل موسى (جبل حوريب) وهي الآن عاصمة محافظة سيناء الجنوبية.

تقع مدينة الطور على الساحل الشرقي لخليج السويس، أحد ذراعي البحر الأحمر، في منطقة تقرب من إنتاج البترول في بلاعيم وفيران.

قصص الأماكن في القرآن الكريم

كانت مدينة الطور فيما مضى الميناء الذي يبدأ منه الحجاج المصريون رحلتهم بالبوأخر إلى المملكة العربية السعودية .

على غير بعيد من الطور، توجد مدينة شرم الشيخ إحدى المدن السياحية العالمية في مصر، والتي تقع عند التقاء خليج العقبة بخليج السويس ذراعى البحر الأحمر.

معروف جغرافياً أن هذه المنطقة أمطارها شتوية، ولكنها أقل من جبل موسى؛ لأنها تقع في منطقة أقل ارتفاعاً.

* * * * *

بَحْرُ سُوْفٍ

البحر الذي عبره بنو إسرائيل عند خروجهم من مصر

﴿ فَأَرْحَبْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ ﴾

[الشعراء: ٦٣].

﴿ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرْكًا وَلَا

تَحْشِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [طه: ٧٧].

﴿ وَجَوْرًا بَيْنَ إِسْرَائِيلَ وَالْبَحْرِ فَالْتَبَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ

الْعُرْقُوقُ قَالَ مَا مَنَّتُ اللَّهُ إِلَّا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي مَآمَنْتُ بِهِ. بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [يونس: ٩٠].

** قصة الأحداث التي وقعت في هذا المكان : مقدماتها وأثارها :

رفض فرعون مصر دعوة موسى إلى الإيمان بالله، والسماح لبني إسرائيل

بالخروج من مصر.

اشتعل العدا بين موسى من جهة، وفرعون ورجاله من جهة أخرى، حين كسب

موسى جولة السحر، وانتصر على سحرة فرعون الذين آمنوا بإله موسى، ورفضوا

تهديد فرعون لهم.

أنزل الله العقاب على فرعون ورجاله:

﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصِ مِنِّ الشَّمْرِ لَعَلَّهُمْ لَكْرُونَ ﴿١٣٠﴾ ﴾

[الأعراف: ١٣٠].

أرسل عليهم:

﴿ السُّلُوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْدَّمَ. آيَاتٍ مُّفَصَّلَتٍ فَاسْتَكَفَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾

[الأعراف: ١٣٣].

كثيراً ما لجأ فرعون ورجاله إلى موسى أن يدعو الله، ليكشف عنهم ما أصابهم من

قصص الأماكر في القرآن الكريم

السوء، على وعد بالإيمان بالله.. فما كاد الله يصرف عنهم ما أصابهم، حتى يتكروا لعهودهم.

﴿ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يَمَا عَهَدَ عِنْدَكَ لَئِن كُنُفْتْنَا عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرِيَنَّكَ مَعَكُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ إِسْرَائِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِلَىٰ أَجَلٍ هُمْ بِلِقَاؤِهِ إِذَا هُمْ يَسْكُتُونَ ﴿١٣٥﴾ ﴾ [الأعراف: ١٣٤، ١٣٥].

لم يجد بنو إسرائيل أمامهم إلا أن يهربوا.

قلما كان الليل، خرج بنو إسرائيل ومعهم موسى من ديارهم من أرض جاسان، واتجهوا نحو الشرق.. حتى بلغوا منطقة سكوت، ومنها اتجهوا إلى إيتام. من إيتام اتجهوا نحو بحر سوف^(١).

وصل بنو إسرائيل إلى منطقة تسمى فم الحبروت (غرب بحر سوف) على أمل أن يجتازوا المنطقة اليابسة بينه وبين باقي بحيرة المنزلة (حالياً).

ما كاد بنو إسرائيل يصلون إلى هذه المنطقة، حتى لحق بهم فرعون ورجاله.

كان فرعون قد علم بهروب بنى إسرائيل، فكون رجاله عدداً كبيراً من المركبات تجرها الخيول، واتجه مع جنوده إلى المنطقة التي هرب إليها بنو إسرائيل.

أصبح بنو إسرائيل في مأزق.. البحر أمامهم، وفرعون ورجاله من خلفهم..

صرخ بنو إسرائيل، حتى أنهم ندموا على هروبهم من مصر!!

أمر الله موسى أن يضرب البحر بعصاه، وسرعان ما انفلق البحر، وانحسرت عنه المياه، وصارت أرضاً يابسة.. جافة.. اتسعت فيها عدة طرق.. كل أفراد سبط من أسباط أبناء يعقوب ساروا في طريق، حتى عبروا منطقة البحر، ووصلوا إلى منطقة المجدل في الناحية الشرقية لبحر سوف.

(١) بحر سوف: يعرف باسم بحر البوص، حيث يكثر فيه نبات الغلاب، وهو جزء من امتداد بحيرة المنزلة الحالية، التي كثيراً ما يرتفع فيها منسوب المياه أيام الفيضان.

الْقَرِينَةُ اللَّتَّى تَمُتِي الْكُفَّارَ أَوْ يَنْزِلُ الْقِرَاءُ عَلَى أَحَدٍ عَظِيمِهِمَا

كان على فرعون أن يلحق ببني إسرائيل، ليعيدهم إلى مصر، فرأى منطقة البحر أمامه قد تحولت إلى يابس، فتنع بني إسرائيل.. لكن المياه أطبقت على فرعون ورجاله، فغرقوا جميعاً، وشاء الله أن يكون ما حدث لفرعون عظة، فألقى بجثته على الشاطئ، وانصرف المصريون إلى ما حدث لفرعون، وانشغلوا بإجراءات دفنه في طيبة، بينما كان بنو إسرائيل يسرعون في طريقهم جنوباً إلى أرض شور.

وكان هذا الطريق بداية لهم إلى سيناء.

** التاريخ الزمني لهذه الأحداث:

ترتبط هذه الأحداث بأحداث أخرى حدثت قبلها، وأحداث وقعت بعدها، لكن حقائق التاريخ تثبت أن هذا الحدث وقع في أواخر عهد الفرعون سينى الثانى الذى تولى الحكم بعد مرنبتاح من سنة ٢١٤ ق.م حتى ٢٠٥ ق.م أو سنة ٢٠٤ ق.م التى غرق فيها.

ربما يرى البعض أن يربط بين هذه الأحداث وبين رمسيس الثانى أو ابنه مرنبتاح، لكن الدلائل تؤكد أن فرعون مصر الذى رفض دعوة موسى لعبادة الله.. كان فى سن متقارب من سن موسى، بينما كان رمسيس الثانى يعد بمثابة أبيه أو جده، وكان مرنبتاح بمثابة خاله (لأن إست نفرة زوجة مرنبتاح هى ووصيفاتها هن اللاتى انتشلن موسى من البحر).

يدل على ذلك.. الحوار الذى دار بين موسى وفرعون حين التقيا.

قال فرعون لموسى فى معرض النقاس الذى دار بينه وبين موسى:

﴿ إِنِّي لَأُظَنُّكَ يَمُوسَى مَسْحُورًا ﴾ (١٠١) [الإسراء: ١٠١].

فرد عليه موسى رداً قوياً، شديد اللهجة:

﴿ لَقَدْ عَلِمْتَمَا أَنزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأُظَنُّكَ بِفِرْعَوْنٍ

مَسْحُورًا ﴾ (١٠٢) (١) [الإسراء: ١٠٢].

(١) مسحوراً: هلكاً.

قصص الأماكر في القرآن الكريم

ومن الواضح ألا يكون هذا الحوار بين موسى وأب له، أو خال، وإنما كان بينه وبين شخص يقاربه في سنه هوسيتى الثاني حفيد رمسيس الثاني .

** موقع المكان :

ويعنى بهذا المكان الطريق الذى سار فيه بنو إسرائيل عند خروجهم من مصر.

اختلف كثير من الرواة والمؤرخين في تحديد هذا المكان.

قال بعضهم: إنه يبدأ من خليج السويس . متجهاً إلى سيناء.

وقال آخرون: إنه يبدأ من شمال البحيرات المرة.

لم يذكر القرآن الكريم أى تحديد لطريق هروب بنى إسرائيل من مصر.

ومعروف أن هروب بنى إسرائيل كان ليلاً، ولحق بهم فرعون مصر ورجاله

صباحاً، أى أنهم لم يسيروا مسافة كبيرة.

هذا الطريق يبدأ من أرض جاسان في شرق الدلتا إلى المنطقة التى تعرف باسم

إيتام، ثم إلى المنطقة كانت تعرف باسم فم الحبروت ثم إلى بحرسوف (الذى كان جزءاً

من جنوب بحيرة المنزلة القديمة ثم إلى أرض شور، ثم إلى سینا .

جبل موسى

(جبل حوريب) حيث كلم الله موسى عليه السلام

﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ. قَالَ رَبِّ أَرِنِي إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرِيكَ وَلَكِنْ نُنظِرُ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ نَرِيكَ فَلَمَّا بَلَغَ رَجُلًا مَلْبُوعًا وَكُنَّا خَازِرًا مُوسَى صَوِّعًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ لِبَحْتَنِكَ بُتُّ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأعراف: ١٤٣].

** قصة الأحداث التي وقعت في هذا المكان:

عاش موسى وبنو إسرائيل في سيناء بعد خروجهم من مصر، ينعمون بما أسبغهم الله عليهم من نعم وخيرات.. فحضر لهم موسى بمشيئة الله اثنتي عشرة عينا، يستقون منها، وأنزل الله عليهم المن والسلوى، طعاماً لهم وحلوى، وأنبت الله لهم من الأرض ما يعيشون عليه من حبوب وخضر وفاكهة.

طلب موسى من ربه أن ينظر إليه.. أن يراه!!

أمر الله موسى أن يذهب إلى الجبل الذي نحن بصدد الحديث عنه، وقبل أن يراه عليه أن يصوم ثلاثين ليلة، ثم يصعد الجبل.

ترك موسى قومه مع أخيه هارون، ووعدهم أن يأتي إليهم بعد ثلاثين يوماً..

اتجه موسى إلى الجبل، وصام ثلاثين ليلة، حتى إذا انتهت الثلاثون ليلة، استعد للقاء ربه، ولكنه شعر أن رائحة فمه كريهة من طول مدة الصوم^(١)، فالتقط قطعة من ثمره، ولاكها في فمه، واستعد للقاء ربه.

لكن الله أمره أن يصوم عشرة أيام أخرى، فتم ميقات ربه أربعين ليلة^(٢).

(١) كان صوم موسى في شهر ذي القعدة، والعشر الأولى من ذي الحجة.

(٢) في تلك الفترة.. انتهز السامري طول غياب موسى، فصنع لبني إسرائيل عجلًا له خوار، وأمرهم أن يعبدوه، وأن يسجدوا له كله، بدلاً من إله موسى (راجع قصة السامري في القرآن الكريم الآيات ١٤٨، ١٤٩ من سورة الأعراف).

وهكذا استعد موسى للقاء ربه.

نادى موسى ربه:

﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

قال الله جل جلاله لموسى:

﴿لَنْ رَرِنِي وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرِنِي﴾ [الأعراف: ١٤٣].

ولدهشة موسى، رأى الجبل قد ذك ذكاً^(١).. عند ذلك.. خر موسى صعقاً مغشياً عليه.. ساجداً لله، فلما أفاق، قال:

﴿لِيَحْكُنَّكَ بَلِّتَ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

وقال الله لموسى:

﴿يَمْوَسَّىٰ إِنِّي لَطَلَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلِمَتِي فَخُذْ مَا آتَيْنَاكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾

[الأعراف: ١٤٤].

وانزل الله على موسى الألواح مكتوب عليها تعاليم ووصايا وأوامر الله لينسى إسرائيل.

أخذ موسى الألواح، ونزل الجبل، وعاد إلى قومه، فوجد كثيراً منهم يرقصون ويسجدون للعجل الذي صنعه لهم السامري من الذهب الذي كان نساؤهم قد اقترضنه من النساء المصريات قبل رحيلهن.

كانت هذه الألواح بها الوصايا العشر التي منها: لا تسرق.. لا تزن.. لا تشرك بالله..^(٢).

(١) من ينظر إلى هذا الجبل الآن يدرك الفرق بين الجزء الذي ذك منه، وبقيته. انظر الصورة.
(٢) أجمل القرآن الكريم هذه الوصايا في قوله تعالى: ﴿فَنَسَاوَا أَهْلَ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ سَبِيحًا وَيَالْوَالِدِينَ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ إِنَّكُمْ لَرِزْقِكُمْ وَآبَائِهِمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَحَسْبُكُمْ بِهِ لَعْنَةً فَعِيلُونَ﴾ [١٥١] ولا تقربوا مال اليتيم

الْقَرِيْنَةُ اللَّتَّى تَمْئِي الْجَفَارَ أَوْ يَنْزِلُ الْقِرَاءُ عَلَى أَحَدٍ عَظِيمِهِمَا

وأحرق موسى عجل السامري، وذرى ترابه في الهواء، وهرب السامري يندب حظه في البرية.

** زمن هذه الأحداث:

من دراسة التاريخ نعلم أن خروج بنى إسرائيل من مصر كان سنة ١٢٠٥ ق.م. معنى هذا أن هذه الأحداث وقعت حوالى سنة ١١٩٥ ق.م حتى سنة ١١٨٠ ق.م. أى بعد حوالى عشرين عاماً من خروج بنى إسرائيل، وقبل أن يكتب الله على بنى إسرائيل التيه لرفضهم دخول الأرض المقدسة التى كتبها الله لهم.

** موقع المكان:

عرف هذا الجبل بجبل موسى، أو جبل حوريب، أو جبل المناجاة. يقع هذا الجبل في جنوب شبه جزيرة سيناء المصرية، حيث يحيط به من الشرق خليج العقبة ومن الغرب خليج السويس ومن الجنوب البحر الأحمر، وبين الجبل والمياه سهل ساحلى يضيق في بعض المناطق، ويتسع في الأخرى. وهذا الجبل يرتفع عن مستوى سطح البحر بحوالى ٢٦٤٠ متراً. به عدة قمم.

إِلَّا بِأَنِّي مِنْ أَحْسَنَ عَنِّي بِنَاءٍ أَشَدُّ وَأَوْفُوا الْعَكْبِلَ وَالْمِرَاةَ وَالْفَسْطَ لَا تَكْلِفُ نَفْسًا إِلَّا وَاسْمَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَأَعِدُوا وَلَا
كَانَ ذَا قُرْبَى وَيَهْدِي اللَّهُ أَوْفُوا ذَالِكُمْ وَمَنْكُمْ بِوَدِّ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥١﴾ وَإِنَّ هَذَا جَبَلٌ مَشْرِيقًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا
تَتَّبِعُوا الشُّبُهَاتِ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَالِكُمْ وَمَنْكُمْ بِوَدِّ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٢﴾ [الأنعام: ١٥١ - ١٥٢].



صورة جبل موسى (حوريب) حيث نزلت على موسى الألواح التي بها وصايا الله
يتبع هذا الجبل إدارياً محافظة جنوب سيناء المصرية.

في أعلى الجبل يوجد دير سانت كاترين التي يرجع تاريخه إلى حوالي عام ٣٤٢م،
والكنيسة الكبيرة، تحيط بالدير والكنيسة حدائق وبساتين تنتج كثيراً من أنواع الفاكهة
كالتيين والعنب والشمش، والخضر والمحاصيل التي تقوم عليها حياة رهبان الدير
والكنيسة.

هذا الدير كان يعرف باسم دير السيدة العذراء، ثم أطلق عليه الاسم الحالي في
القرن التاسع عشر الميلادي.

للوصل إلى هذا الدير على الإنسان أن يصعد ٣٠٠٠ درجة نحتها الرهبان في
الجبل على مر السنين، وعندما يصل يجد منطقة غنية بالماء والمزروعات.

هذا الدير بناه الإمبراطور جوستنيان (٥٢٧م - ٥٩٥م)، ليكون مقراً للرهبان
وللانتفاع للعبادة وهو عبارة عن قلعة حصينة، يحيط بها سور أضلاعه شبه مربع

القَرْيَاتُ النَّائِيَةُ تَمُوتُ الْكُفَّارُ أَوْ يَنْزِلُ الْقِرَاءُ عَلَى أَحَدٍ عَظِيمِهِمَا

١١٧ × ٨٠ × ٧٠ × ٣٦ متراً، وارتفاعه من ١٢ - ١٥ متراً وسمك جداره ٢٢٥ سم،
والسور ميني من الجرانيت، له ثلاث بوابات.

بالدير مكتبة غنية بالكتب، فيها أقدم الأناجيل.

كما يوجد مسجد كبير بناه عليُّ الأفضل وزير الحاكم بأمر الله الفاطمي
(١١٠١ - ١١١٠) وكنيسته معروفة بكنيسة الخلاص، وكنيسة أخرى صغيرة.

والدير محاط بعدد من الجبال يصل ارتفاع بعضها إلى ١٥٠٠ متراً.

يبعد الدير عن القاهرة بحوالي ٤٤٠ كيلو متراً.

وهذا يعني أن هذا الجبل يمثل منطقة مقدسة عند أصحاب الديانات الثلاثة:

الإسلام والمسيحية واليهودية، فهو بذلك يثبوت مكانة دينية وتاريخية هامة.



صورة لدير سانت كاترين على جبل موسى

مَجْمَعُ الْبَحْرَيْنِ

حيث التقى موسى عليه السلام والعبد الصالح

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتْنِهِ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾﴾
[الكهف: ٦٠].

** تمهيد:

اختلف الرواة والمفسرون في تحديد المنطقة التي التقى فيها موسى مع العبد الصالح.

قال بعضهم:

- كان ذلك عند الفقاء خليج العقبة مع خليج السويس في جنوب سيناء، على أنهما بحران يلتقيان في هذا المكان.

رأى آخر قال أصحابه:

- كان ذلك عند منطقة السويس، حيث كانت تلتقى ترعة سيزوستريس التي حفرها الفرعون سنوسرت، لتصل بين النيل والبحر والأحمر عند السويس، وكان الغرض منها ربط النيل بالبحر الأحمر، لتسهيل التجارة بين البحرين الأحمر والمتوسط.

فيذا ناقشنا الرأيين، نجد أن الرأي الأول بعيد الاحتمال، لأنه يقع في منطقة بعيدة عن المنطقة التي كان يعيش فيها بنو إسرائيل في سيناء، فليس من المعقول أن يترك بنو إسرائيل منطقة الغرب والشمال، ويعيشوا في الجنوب، وكلها كما نعرف منطقة جبلية، صعبة السير فيها.

أما بالنسبة للرأي الثاني: فلا أوافق عليه، لأننا لا ندري إن كانت هذه القناة مازالت تعمل في عصر موسى، وهو عصر الأسرة التاسعة عشر، أم ردمت علمًا بأن هذه القناة حفرت في عهد الأسرة الثانية عشر.

الْقَرِيْنَانِ اللَّتَانِ تَمَّتِي الْكُفَارُ أَوْ يَنْزِلُ الْقِرَاقُ عَلَى أَحَدٍ عَظِيمِهِمَا

ثم إن السويس مكان قريب من مصر، والمفروض أن بنى إسرائيل ابتعدوا عنها.

والرأى عندي أنه كان في منطقة غير هذه وتلك، فأين تكون هي؟

إذا نظرنا إلى خريطة مصر أيام موسى، نجد أن النيل كان له ستة أو ثمانية فروع، موزعة في شرق الدلتا ووسطها وجنوبها.

من هذه الفروع التي في شرق الدلتا كان فرع النيل الباليوزى الذى يصب في البحر المتوسط قرب بحيرة البردويل الحالية، وقد ذكرنا أن هذا الفرع تقع عليه العاصمة بررعمسيس، وفي مكان منه، ألقى فيه موسى وهو طفل رضيع.

مع ملاحظة أن كلمة البحرين بمدلولهما، لا يشترط أن تكون مياه الاثنين ملحًا، من الجائز أن يكون أحدهما ماءه ملح والآخر ماءه عذب، أى أن نهر وبحر.

يؤكد هذه الحقيقة.. ما جاء في قوله تعالى:

﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٨﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ ﴿١٩﴾﴾ [الرحمن: ١٩ - ٢٠].

فقد عبر القرآن الكريم أن أحدهما مالح، والآخر عذب، اختلفت كثافة كل منهما عن الآخر، فهما لا يختلطان.

وهذه الحقيقة تنطبق على المكان الذى نحن بصدد الحديث عنه، حيث يلتقى الفرع الباليوزى لنهر النيل القديم مع البحر المتوسط عند مكان كان يعرف باسم باليوزم اسمه الآن القوما.

** الأحداث التى وقعت فى هذا المكان :

من دراستنا لعصر موسى والعبد الصالح التى ورد ذكرها فى القرآن الكريم فى سورة الكهف الآيات ٦٠ - ٨٢، وفى حديث رسول الله ﷺ عن اللقاء بين موسى والخضر، هذا الحديث رواه مسلم عن سعيد بن جبير (مختصر صحيح مسلم).

وتتلخص هذه الأحداث فيما يلى:

قام موسى عليه السلام خطيبًا فى بنى إسرائيل، فسأله:

- أي الناس أعلم؟

فقال موسى:

- أنا أعلم الناس.

فغضب الله على موسى، وأوحى إليه أن عبداً من عبادي بمجمع البحرين هو أعلم منك، فسأل موسى ربه:

- يا رب كيف لي به؟

فطلب الله من موسى أن يحمل حوتاً في مكنله، وسيجده حين يفتقد الحوت. أخذ موسى حوتاً في مكنله، وصحب فتاه يوشع بن نون^(١)، وساراً، حتى وصلا إلى صخرة، وكان التعب قد أنهكهما، فاما عندها. في أثناء نوم موسى، اضطرب الحوت في المكنل وخرج منه، وسقط في البحر، وأمسك الله الحوت عن أن تجرفه المياه، فبقى في مكانه. فلما استيقظ موسى وفتاه، انطلقا في طريقهما بقية يومهما وليلتهما، ونسى فتى موسى أن يخبره بما حدث للحوت.

بعد حين.. طلب موسى من فتاه:

﴿إِنَّا عَدَاءُ نَا لَقَدْ لَغِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَسَبَا ﴿٦٢﴾﴾ [الكهف: ٦٢].

قال فتى موسى له:

﴿أَرَأَيْتَ إِذْ أَوْتِنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَيْتُهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾﴾ [الكهف: ٦٣].

عند ذلك طلب موسى من فتاه أن يعودا إلى الصخرة، فرجعا، حتى أتياها.

(١) هو يوشع بن نون، وستأتي ترجمة له في قصة دخول بني إسرائيل أول قرية من فلسطين.

الْقَرِيْبَانِ اللَّتَانِ تَمْنَى الْكُفَّارُ أَنْ يَنْزِلَ الْقِرَاءُ عَلَى أَحَدٍ عَظِيْمِهِمَا

عند هذه الصخرة، وجدا رجلاً^(١) واقفاً على بساط من العشب الأخضر، فسلم

موسى عليه، فقال له الرجل:

- إن بأرضك السلام.

قال موسى:

- أنا موسى نبي بنى إسرائيل.. أخبرنى الله أنك أعلم أهل الأرض.

قال الرجل:

- إنك على علم من علم الله علمك الله، ولا أعلمه، وأنا على علم علمنى الله لا تعلمه.

قال موسى:

﴿ هَلْ أَتَيْتَكَ عَلَىٰ أَنْ تَعْلَمَ مِن مَّآ عَلَّمْتَ رُشْدًا ۖ ﴾ [الكهف: ٦٦].

قال الرجل الصالح:

﴿ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ۗ ۖ ﴾ [الكهف: ٦٧ - ٦٨].

قال موسى:

﴿ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ۗ ﴾ [الكهف: ٦٩].

قال الرجل:

(١) لم يذكر القرآن الكريم اسم هذا الرجل، ولكن حديث رسول الله سمىه بالخضر، وقد اختلف العلماء

هل هو نبي؟ أم عبد صالح: أو نبي مرسل، الله أعلم.

واختلف العلماء كذلك فى نَسبه.

قال بعضهم: ومنهم أبو إسحاق التيسابورى (التلعلى): اسمه بلينا بن ملكان بن فالغ بن عامر. ينتهى

نَسبه إلى سام بن نوح.

وقال آخرون: إنه من صلب آدم.. أطل الله فى عمره، حتى حضر كثيراً من الأنبياء والرسل

واختلفوا: هل مات أم ما يزال حياً حتى اليوم.

وقالوا: إن الرسول لقيه ليلة المعراج. والله أعلم.

ونحن نرى أنه لا بأس أن نسميه الخضر كما ذكره الرسول ﷺ.

﴿ فَإِنْ أَتَيْتَنِي فَلَا تَسْأَلَنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحَدِّثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾ [الكهف: ٧٠].

هذا كله حدث في المكان الذي نحن بصدد الحديث عنه. وهو مجمع البحرين

وتمضى أحداث القصة بعد ذلك في أماكن أخرى.

حين ركبا السفينة، فخرقها العبد الصالح.

وحين قتل العبد الصالح غلامًا بغير نفس.

وحين دخلا قرية، فاستطعما أهلها، فمنعوا منهما الطعام، مع ذلك وجد العبد جدًّا

متهدمًا، يكاد تتساقط لبناته، فأزاله، وأعاد بناءه بلا مقابل.

وفي كل مرة كان موسى يندهش مما يفعله العبد الصالح، ويسأله:

- لم فعلت هذا؟

فيرد عليه العبد الصالح فيقول:

- ألم أقل لك إنك لم تستطع معي صبرًا؟

بعد ذلك فسر العبد الصالح لموسى أسباب ما فعله.

أما بالنسبة للسفينة، فقد عرف أن رجال الملك يأخذون كل سفينة غصيبًا، فأراد العبد

الصالح أن يحدث عيبًا في السفينة، فخرقها حتى لا يأخذها رجال الملك.

وأما الطفل الذي قتله، فقد أعلمه الله أن هذا الغلام سيرهق أبويه بكفره، وأن الله

سيعوضهما عنه بطفل بجنبانه، يكون خيرًا لهما.

وأما الجدار، فكان لغلامين يتيمين في المدينة، وكان أبوهما رجلًا صالحًا، وكان

تحت الجدار كنز.

وافترق موسى عن الخضر، بعد أن أدرك الحقيقة، وهي أنه ليس أعلم أهل الأرض.

**** زمن هذه الأحداث :**

لا نستطيع أن نحدد بالضبط زمنًا لهذه الأحداث، ولكننا نستطيع أن نقول : إنها

القريتان اللتان تمئى الكفار أن ينزل القرآن على أحد عظيميهما

حدثت فى عهد موسى، ولعل هذا حدث بعد خروج بنى إسرائيل من مصر، وقبل التيه.
ومن المحتمل أنها حدثت من سنة ١٧٠ق.م - سنة ١٥٠ق.م وفقاً لترتيب
أحداث قصة موسى فى أماكنها. والله أعلم.

**موقع المكان:

يقع مكان مجمع البحرين، حيث التقى موسى مع الخضر فى مدينة باليوزم (الفرما)
حيث يلتقى نهر النيل الفرع الباليوزى مع البحر المتوسط.
وتعتبر هذه المدينة أول مدخل لمصر من جهة الشرق.
تبعد هذه المنطقة عن رفح عند حدود مصر مع فلسطين حوالى ١٨٠كم.
هذه المنطقة مناخها يتبع مناخ البحر المتوسط بحرارته وجفافه صيفاً، واعتداله
وأماطاره شتاءً.

هذه الأمطار تفل كلما اتجهنا شرقاً، ومصدرها الرياح العكسية الغربية.

* * * * *

هضبة التيه

التي تاه فيها بنو إسرائيل

﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ
الْفَاسِقِينَ ﴿٢٦﴾ [المائدة: ٢٦].

** الأحداث التي وقعت في هذا المكان :

أنقذ الله بنى إسرائيل مما كانوا يعانونه من مذلة وسخرة على أيدي فراعنة مصر، واستقر بهم المقام فى سيناء، ينعمون بخيراتها، ونعم الله عليهم.. فجز لهم العيون؛ ليستقوا من مائها، وأنزل عليهم المن والسلوى.. طعاماً لهم وحلوى.

مع ذلك.. عصى بنو إسرائيل ربهم، وعبدوا عجل السامرى، ولم يستجيبوا لما أمرهم الله به، حين أنزل عليهم الألواح التى بها أوامر وتعليمات الله لبنى إسرائيل.

كان الله قد وعد نبيه إبراهيم عليه السلام ^(١) أن يعطيه أرض كنعان (فلسطين)؛ لذلك طلب موسى من بنى إسرائيل أن يحاربوا الكنعانيين، ليدخلوا الأرض التى وعد الله بهم جدهم إبراهيم، قال لهم موسى:

﴿ يَقَوْمُ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتُدُّوا عَلَىٰ آدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ
﴿٢٦﴾ [المائدة: ٢٦].

لكن بنى إسرائيل جنبوا عن مواجهة أعدائهم وقتالهم، وقالوا لموسى:

(١) هذا الوعد لا يعنى التسليم لليهود الآن يحقهم فى فلسطين، ذلك لأن هذا الوعد كان لإبراهيم ويعقوب عليهما السلام، وقد تحقق هذا الوعد على يد نبي الله داود الذى انتصر على الفلسطينيين، وجاء من بعده ابنه نبي الله سليمان، ووسع أملاك دولته على حساب الدول المجاورة له، فلما عاد بنو إسرائيل إلى عصيان الله والأنبياء، انقسمت دولتهم إلى قسمين، وسلط الله عليهم جيرانهم من الآشوريين والفينيقيين والمصريين والفرس، حتى ضاعت معالم الدولة اليهودية.

مع ملاحظة أن الوعد كان لبنى إسرائيل، لكن يهود اليوم ليسوا من سلالة بنى إسرائيل، فقد انتشرت الدعوة اليهودية خارج فلسطين إلى دول كثيرة فى أوروبا وآسيا وأفريقيا، ولم تعد قاصرة على بنى إسرائيل، وليس كل يهودى اليوم من بنى إسرائيل. (المؤلف).

﴿يَمُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَابِين وَإِنَّا لَن نَدْخُلُهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا
لَأَخْلُوكَ﴾ [المائدة: ٢٢].

وقالوا:

﴿وَإِنَّا لَن نَدْخُلُهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا لَأَخْلُوكَ﴾ [المائدة: ٢٢].
هكذا.. عصى بنو إسرائيل نبيهم موسى وإلههم.

لذلك كتب الله على بنى إسرائيل التيه فى البرية أربعين سنة، حرم عليهم فلسطين،
قال الله لموسى:

﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ اللَّيْسِيِّينَ﴾
[المائدة: ٢٦].

هكذا.. كانت بداية التيه، تيه بنى إسرائيل حتى تنتهى الأجيال التى عصى أصحابها
موسى.

وسار بنو إسرائيل فى الأرض تائبين، لا يدرون ماذا يفعلون، ولا أين ينتهى بهم
السير.

لم يكونوا تائبين فى الأرض فقط، لكنهم كانوا يسيرون طوال النهار، فإذا
جئ الليل، هداؤا للراحة والنوم، ولكنهم لدهشتهم حين يستيقظون فى الصباح،
يجدون أنفسهم فى نفس المكان الذى بدأوا فيه رحلة الأمس، كأنهم لم يغيروا
مكائهم!!

وتاه بنو إسرائيل فى البرية أربعين عامًا، مات خلالها هارون ومن بعده موسى
عليهما السلام، وانقرض كل من عصى موسى، ولم يبق منهم إلا من كانت أعمارهم لا تزيد عن
العشرين عامًا.

وسيكون لنا مع هؤلاء لقاء آخر فى مكان آخر.

**** زمن هذه الأحداث :**

واضح من خلال الأحداث أنها وقعت في عصر موسى ﷺ، وقعت لبنى إسرائيل في سيناء بعد خروجهم من مصر سنة ١٢٠٥ ق. م.

ومعروف أن دخول بنى إسرائيل أريحا بقيادة نبي الله يوشع سنة ١١١٤ ق. م.

. تكون هذه الأحداث وقعت حوالي سنة ١١٥٤ ق. م حتى سنة ١١١٤ ق. م.

**** موقع منطقة التيه :**

تنقسم سيناء إلى ثلاثة مناطق:

(١) القسم الجنوبي الذي يقع فيه جبل موسى. وهي منطقة جبلية.

(٢) القسم الشمالي: وهو عبارة عن سهول تطل على البحر المتوسط، وهو أقل المناطق في سيناء ارتفاعاً.

(٣) القسم الأوسط: وهو هضبة مرتفعة تشمل هضبة العجمة وهضبة التيه.

ومعنى هذا أن بنى إسرائيل تاهوا في المنطقة التي تشغلها الآن هضبة التيه ، ولعل هذه الهضبة سميت بهذا الاسم، لأنها منطقة تيه بنى إسرائيل.

تقع هضبة التيه بين هضبة العجمة في الجنوب، والسهول الساحلية الشمالية.. يخرقها عدة أودية تمتلئ بالمياه في فصل الشتاء (بسبب الرياح العكسية) وتكون جافة في فصل الصيف.

هذه الأودية، من أهمها وادي العريش الذي ينبع من هضبة العجمة، وينتهي إلى البحر المتوسط.. ثم وادي اليرموك، و وادي العقبة، و وادي سدر.

* * * * *

أريحا

أول قرية في فلسطين دخلها بنو إسرائيل

﴿ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَاَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ وَسَارِيذُ الْمُخَسِبِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ [البقرة: ٥٨ - ٥٩].

﴿ وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ ائْتِكُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَاَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ لَيْسَتُمْ سَارِيذُ لَيْسِيذٍ ﴿٦١﴾ ﴾ [الأعراف: ١٦١].

** قصة أحداث المكان:

خرج بنو إسرائيل من مصر، بعد أن عبر بهم موسى ﷺ بمعجزة من الله، وأغرق الله فرعون مصر ورجاله.

اتجه بنو إسرائيل إلى سيناء، حيث استقروا فيها، ينعمون بالأمن، وبما وهبهم الله من خيرات وتعم، لتمضى بهم الحياة كما شاءها الله لهم.
ذات يوم...

طلب موسى من قومه بنى إسرائيل أن يحاربوا الكنعانيين، سكان فلسطين، ليندخولوا الأرض المقدسة التي وعد الله بها إبراهيم ويعقوب عليهما السلام، قال موسى لقومه:

﴿ يَنْقُورِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ ﴿٢١﴾ ﴾ [المائدة: ٢١].

لكن بنى إسرائيل كالعهد بهم.. جبنوا، وخافوا، وقالوا لموسى:

﴿ قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَنَدْخُلُهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا نَدْخُلُونَا ﴿٢٢﴾ ﴾ [المائدة: ٢٢].

قصص الأماكر في القرآن الكريم

من أجل ذلك.. كتب الله على بنى إسرائيل التيه في البرية أربعين سنة.

خلال الأربعين سنة، توفي نبي الله هارون، ودفن في سفح جبل هور بسيفاء، ومن بعده توفي موسى عليه السلام، ودفن في جبل نبو، على غير بعيد من الأرض المقدسة فلسطين، وخلف موسى في النبوة وقيادة بنى إسرائيل يشوع بن نون^(١).

كان جبل رجال موسى قد انتهوا جميعاً أثناء فترة التيه، وخلف من بعدهم خلف جديد، أدركوا ما أصاب آباءهم وأجدادهم بسبب جبنهم، فتحمسوا لدخول فلسطين (أرض كنعان)، ليحققوا وعد الله.

أمر الله يوشع بن نون ورجاله أن يدخلوا فلسطين، ولأن أقرب مكان إلى مقام بنى إسرائيل كانت قرية أريحا التي لا يفصلها عن بنى إسرائيل إلا نهر الأردن، قال الله لهم:

﴿ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَاَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتِكُمْ وَسَتَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [البقرة: ٥٨].

ومما يروى أن الإسرائيليين كانوا يحاربون الكنعانيين يوم الجمعة، وحين موعد غروب الشمس، فدعا يوشع ربه أن يطيل ساعات النهار، ويؤخر غروب الشمس، واستجاب الله له.

لكن بنى إسرائيل حين دخلوا قرية أريحا لم يتبعوا قول الله لهم.. دخلوا زاحفين ولم يدخلوا ساجدين، وكانوا يقولون حنطة التي تعنى القمح، بدلاً من حطة، وفي هذا قال الله تعالى:

﴿ قَبَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ يَمَا كَانُوا يُفْسِقُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ [البقرة: ٥٩].

(١) يوشع بن نون بن أفرايم بن يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام، هو قتي موسى الذي حضر معه لقاءه مع الخضر، جاء ذكره في القرآن الكريم باسمه إيسع في قوله تعالى: ﴿ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُوشَعَ وَثَمُونَ وَأُولَئِكَ فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾ [الأنعام: ٨٦]. كما جاء بصفته قتي موسى في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنِّي عَلَى الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِي حُقُبًا ﴿٦٠﴾ ﴾ [الكهف: ٦٠].

**** زمن هذه الأحداث :**

اختلف المؤرخون في تاريخ موعد خروج بنى إسرائيل من مصر، ولقد ذكرنا - ربطاً بالتاريخ الفرعونى - أن هذا وقع في نهاية عصر الفرعون سبتي الثاني أى حوالى سنة ١٢٠٥ ق.م.

فإذا أضفنا إلى هذا التاريخ خمسين عاماً عاشها بنو إسرائيل في سيناء، بالإضافة إلى أربعين عاماً هي مدة التيه في سيناء، فيمكن أن نعتبر أن دخول بنى إسرائيل أريحا كان حوالى سنة ١١١٥ ق.م مع التجاوز عن عشر سنوات زيادة أو نقصاً.

ويقول بعض المؤرخين إن يوشع حكم بنى إسرائيل سبعة وعشرين عاماً.

ويعتبر بداية عصر يوشع بن نون هو عصر قضاة بنى إسرائيل الذى انتهى بعصر شمشون، والتي قامت خلاله عدة حروب بين الإسرائيليين وجيرانهم، فقد الإسرائيليون خلالها تابوت العهد^(١) استولى عليه الفلسطينيون ووضعوه عندهم في قرية اسمها بيت داجون، وأعادته الملائكة إلى بنى إسرائيل، لينبدأ بعد ذلك عصر النبي داود عليه السلام.

**** موقع المكان :**

تقع أريحا غرب نهر الأردن، وتبعد عنه حوالى ٨ كم، كما تقع شمال شرق مدينة القدس^(٢)، وتبعد عنها حوالى ١٠ كم، وتقع شمال بيت لحم، وتبعد عنها نحو ١٠ كم. أقطار هذه المنطقة شتوية.

(١) تابوت العهد أو تابوت الشهادة: هو صندوق من خشب السنط ١.٥ × ١ × ١ مترًا، مغطى من الداخل والخارج بطبقة من الذهب، يحتوى هذا التابوت على لوحى الشهادة اللذين نقشت عليهما وصايا الله لبنى إسرائيل، كان هذا التابوت يجلب لبنى إسرائيل النصر على أعدائهم، استولى عليه الفلسطينيون، ثم تركوه ليعود إليهم. جاء ذكره في القرآن في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُنْقَذِكُمْ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ مَكِّةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾ [البقرة: ٢٤٨].

(٢) القدس: كانت تعرف باسم ييوس عاصمة اليبوسيين، فرع من الكنعانيين، ثم عرفت بعد ذلك باسم أورسالم (أورشليم) وتعرف الآن، باسم بيت المقدس، وهي عاصمة للدولة الفلسطينية.

سبأ

بين سد مأرب وقصة بلقيس مع سليمان

﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَأَشْكُرُوا
لَهُ بَلَدًا طَيِّبَةً وَرَبِّ عَفُورٌ ﴿١٦﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ
ذَوَاتِ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثَلٍ وَشَجَرٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٧﴾ ذَلِكَ جَزَاءُ مَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَزِي إِلَّا
الْكَافِرَ ﴿١٨﴾﴾ [سبأ: ١٥ - ١٧].

﴿فَمَكَتْ عَمْرٌ بَعِيدٌ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ نَحِطُ بِهِ، وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾﴾
[النمل: ٢٢].

** الأحداث التي وقعت في هذا المكان :

يمكن أن نقسمها قسمين: أحدهما في عصر، والثانية في عصر آخر، تلك الأحداث التي أوردها القرآن الكريم.

أما الأحداث الأولى، فتتلخص في أن أحد ملوك اليمن، واسمه سبأ^(١) كان ملكاً عظيماً ذكياً، مخلصاً لوطنه ولشعبه.. كان أبوه قد أعده للحكم، وسياسة الدولة ذات يوم..

صحب سبأ نفراً من خاصته ورجال حاشيته من ذوى الرأى والحكمة، ومضى في مملكته، يتفقد أحوال رعيته.. صعد النجود، وهبط الوديان، وتسلق رؤوس الجبال، حتى وصل إلى مكان فسيح بين جبلين، تنساب فيه الأمطار التي تسقط في فصل الصيف، والتي تشتبه بها اليمن؛ بسبب ارتفاعاتها، وكان سبأ يعلم أن مياه هذه الأمطار تنحدر

(١) سبأ: كان اسم لرجل، ثم أطلق على مدينة، ثم على دولة، هو سبأ (عيد شمس) بن يشجب بن يعرب ابن قحطان من العرب العاربة.. ينتهي نسبه إلى سام بن نوح عليه السلام، وسبب تسميته بعيد شمس أنه وقومه كانوا يعبدون الشمس، يؤكد هذا ما جاء في القرآن الكريم، قوله تعالى: ﴿وَجَدْنَاهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَرَبُّهُمْ الشَّيْطَانُ أَصْنَاهُمْ فَسَدَّخُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [النمل: ٢٤].

الْقَرْيَتَانِ اللَّتَانِ تَمْنَى الْكُفَّارُ أَنْ يَنْزَلَ الْقُرْآنُ عَلَى أَحَدِ عَظِيمَيْهِمَا

نحو مياه البحر، دون أن يستفيد منها أهل اليمن شيئاً.

لذلك فكر سبأ والرجال معه أن يبنوا سدًا بين الجبلين، يحجز مياه الأمطار خلفه، وأن يجعلوا له بوابات، تفتح وتغلق لتصرف المياه خلفه حسب الحاجة.

وبعد عدة مناقشات.. استقر الرجال على بناء السد.

كان العمال يبنون السد بإشراف الملك ورجاله. منهم من يقطع الأحجار، ومنهم من يبنى، حتى أقاموا السد بين الجبلين، وجعلوا له ثلاثين بابًا، تفتح وتغلق لانسحاب المياه حسب الحاجة.

وحيث جاء موسم سقوط الأمطار، احتجزت المياه خلف السد، وصيرقت في قنوات، لاستخدامها في رى المحاصيل الزراعية والأشجار المثمرة.
وهكذا حقق سبأ لشعبه الرفاهية.

وتتابعت السنوات، وكل ملك من الملوك الذين جاءوا بعد سبأ يهتمون بالسد مثل بلقيس التي رفعت بناءه، وآخرون كانوا يقومون بأعمال الصيانة، حتى يؤدي مهمته على أكمل وجه.

وزادت خيرات مدينة سبأ، وعظمت وريحت تجارتها.

ثم شاء الله لأهل سبأ أن يدينوا بديانة اليهودية، ويؤمنوا برب سليمان عليه السلام إلهًا واحدًا، حين دخلت هذه الديانة في عهد بلقيس، وندوا عبادة الشمس.

لكن الملوك الذين تتابعوا بعد ذلك أهملوا السد، ولم يهتموا بصيانته، وكفروا بالله، وعبدوا الأصنام، ولم يشكروا ربهم على نعمه عليهم.

فكان جزاءهم أن أرسل الله عليهم سيل العرم، بأمطاره الغزيرة، فتحطم سد مأرب، وغرقت بلاد سبأ، وتفرق شعبها، وهربوا إلى مناطق أخرى في شبه الجزيرة العربية (تفرقوا سبأ).

أما الأحداث الأخرى، فنلخصها فيما يلي:

قصص الأماكر في القرآن الكريم

فقد حدث في عهد الملكة بلقيس^(١)، التي ملكت حكم سبأ، وسارت على نهج أبيها في العناية بسد مأرب.. زادت في ارتفاعه، واهتمت بصيانة وإعادة بناء ما تهدم منه. في تلك الفترة من التاريخ، كان يعيش نبي الله سليمان عليه السلام.

وقصة سليمان مع بلقيس معروفة، حين رآها هدهد سليمان مع قومها يسجدون للشمس من دون الله، وأخبر الهدهد سليمان بما رآه، فبعث إليها سليمان برسالة، ألقاها الهدهد عليها، وجمعت بلقيس رجالها تستشيرهم فيما يدعوها إليه سليمان، ترك عبادة الشمس وعبادة الله وحده.

بعثت بلقيس بهداياها إلى سليمان لتسترضيه، ولكنه رفضها، وأصر على أن تؤمن وشعبها بالله.

وجاءت بلقيس لزيارة سليمان في عاصمة مملكته أورشليم، فأدهشها ما رأت.. سليمان سحر الجن والإنس والطيور، وكانت تعلم كل معجزات سليمان.

وزادت دهشة بلقيس حينما رأت عرشها الذي تركته في سبأ، قد أحضره أحد رجال سليمان.

عند ذلك أمنت بلقيس بإله سليمان.. وتبعها شعبها، فكان هذا بداية لوصول اليهودية اليمن.

** زمن الأحداث:

أما القصة الأولى: وهي أحداث بناء سد مأرب ثم تصدعه.. فقد اختلف الرواة والمفسرون متى كان حكم الملك سبأ؟ ومتى بنى سد مأرب؟.

معروف أن بلقيس جاءت بعد سبأ بعدة ملوك، قد تصل مدة حكمهم إلى ١٠٠ سنة، ومعروف أن بلقيس عاصرت حكم سليمان، وأن سليمان كان من سنة ٩٨٩ ق.م - سنة ٩٣١ ق.م.

(١) هي بلقيس بنت البشير الهدهد بن الحارث بن قيس بن صنعاء بن سبأ.. ينتهي نسبها إلى قحطان، فهي حفيدة سبأ، هذا الملك العظيم.

القريظة اللثام تمئى الكفار أم ينزل القرآن على أحد عظيمهما

يمكننا أن نقول إن بناء سد مأرب فى عصر الملك سبأ كان قبل بلقيس وسليمان بحوالى مائة عام، أى حوالى سنة ١٠٩٠ ق. م.

وقياساً على هذا يمكن أن نقول إن سبأ بنى سد مأرب خلال سنة ١٠٩٠ ق. م إلى سنة ١٠٥٠ ق. م.

هذا عن الأحداث التى وقعت فى الفترة الأولى.

أما أحداث الفترة الثانية فكانت من حوالى سنة ٩٥٠ ق. م - ٩٤٠ ق. م. خلال حكم سليمان عليه السلام.

**موقع سبأ:

تقع مدينة سبأ فى اليمن، بين حضرموت ونجران، وكانت عاصمتها صرواح، ثم مأرب، وهى إحدى الدول التى حكمت اليمن: معين، سبأ، حمير.

ومعروف أن سطح اليمن جبلى، تسقط أمطاره فى فصل الصيف بسبب هبوب الرياح الجنوبية الشرقية الآتية من المحيط الأطلنطى، وبعد عبورها خط الاستواء، تنحرف إلى يمين اتجاهها بسبب منطقة الضغط المنخفض فى جنوب غرب آسيا، فتسقط أمطاراً، تغزر على المرتفعات وفى الغرب، وتقل كلما اتجهنا نحو الداخل.

إيالة

القرية التي كانت حاضرة البحر وأصحاب السبت

﴿ وَسَأَلَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ جِثَاتُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَعًا وَيَوْمَ لَا سَبِطُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبُؤُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [الأعراف: ١٦٣].

﴿ وَقَدْ عَلِمْنَا الَّذِينَ اتَّعَدُوا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿١٦٤﴾ ﴾ [البقرة: ٦٥].
 ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ آتَوْهَا مِنَ الْكِنَابِ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْوَS وُجُوهَهَا
 فَتُرْدَهَا عَلَىٰ أَذْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿١٦٧﴾ ﴾ [النساء: ٤٧].
 ﴿ وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿١٦٨﴾ ﴾ [النساء: ١٥٤].

﴿ إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
 فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾ [التحل: ١٢٤].

** أحداث هذا القرية :

في هذه القرية كان يعيش حوالي ٧٠٠٠٠ شخصاً يدينون بالديانة اليهودية التي وصلت إليهم عن طريق نبي الله موسى عليه السلام حين كان يعيش وقومه في سيناء. معروف أن الديانة اليهودية تُحرّم على اليهودي العمل في يوم السبت، وأن عليه في هذا اليوم أن يتفرغ لعبادة الله ^(١).

ولأن هذه القرية تقع على البحر.. على خليج العقبة، أحد ذراعي البحر الأحمر.. لذلك كانت أهم حرفة لسكانها هي صيد الأسماك، أو ما كانوا يطلقون عليه الحوت. استمر اليهود على عهدهم لربهم أن يكون يوم السبت أجازة لا يعملون فيه، لا يصيدون سمكاً.

(١) من وصايا الله أنبيى إسرائيل، تقديس يوم السبت. راجع الإصحاح ٢٠ من سفر الخروج، ومما يروى أن موسى أقام الحد على رجل كان يحتطب يوم السبت.

الْقَرْيَتَانِ اللَّتَانِ تَمْتَلِي الْجَفَارُ أَوْ يَنْزِلُ الْقِرَاقُ عَلَى أَحَدٍ عَظِيمِهِمَا

ثم خلف من بعدهم خلف، لا حضوا في يوم السبت.. يوم أجازتهم أن الأسماك تكون كثيرة واضحة أمام عيونهم، بل إن بعضها كان يطفو فوق سطح المياه، كأنها تتحداهم، ولكنهم لا يستطيعون صيدها، تمسكًا بما أمرهم موسى به.

لكن الدهشة كانت تصيب القوم في صباح باقى أيام الأسبوع، حين يدركون أن الأسماك تختفى، لا تظهر، تبتعد عن شباكهم، فيلتهب حقدهم على هذه الأسماك، وعلى شريعة موسى.

لذلك فكر بعض أصحاب هذه القرية أن يخرقوا تعاليم شريعة موسى.. عزَّ عليهم أن تبور تجارتهم، وأن يفقدوا موردًا هامًا من موارد معيشتهم، كان عليهم أن يحتالوا على شريعتهم.

بعضهم حفر حفرة بجوار شاطئ البحر، وأوصلها إليه بقنوات تسمح بدخول مياه البحر إليها بما فيها من أسماك، كانوا يفعلون هذا يوم الجمعة.

فإذا كان مساء يوم الجمعة، تجمعت الأسماك في مياه هذه الحفر، فسدوا عليها طريق العودة إلى البحر، واحتبسوا في مياه هذه الحفر (البحيرات) التي صنعوها، وتركوها تزداد يوم السبت.

فإذا كان يوم الأحد، اصطادوا هذه الأسماك من مياه هذه البحيرات الصغيرة.

بعض آخر من أهل القرية، عمدوا إلى أقفاص، فألقوا بها في البحر يوم الجمعة، تملئ بالأسماك، وتحبس فيها، فإذا كان يوم الأحد. أخرجوا هذه الأقفاص بما فيها من أسماك.

هكذا احتال أهل هذه القرية من اليهود على شريعتهم، حققوا غايتهم، لقد نسي هؤلاء أن الغاية لا تبررها الخطيئة، وأن الوسيلة لا تعطى فرصة للحرام.

اختلف أهل إيلة في هذا الموقف.

فريق منهم هم الذين احتالوا على دينهم.. أصروا على ما فعلوا، وبرَّروه بحاجتهم،

وأنهم لم يخرقوا شريعة موسى يوم السبت.

فريق ثان نهوا هؤلاء العاصين عما فعلوا، ونصحوهم أن يعودوا إلى الصواب.

وبين هؤلاء وهؤلاء فريق ثالث سكتوا، وقالوا للفريق الناصح:

﴿مَعذِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٤].

قالوا لهم:

﴿لِمَ تَعْطُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعذِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [١٦٤] [الأعراف: ١٦٤].

لكن العصاة من الفريق الأول، لم يستمعوا إلى نصيحة إخوانهم، واستمروا على تحايلهم على شريعة موسى، فابتعد الآخرون عنهم.

ثلاثة أيام.. لم يخرج هؤلاء العصاة من دورهم، فلما اقتحموا عليهم أبواب دورهم، فوجئوا أنهم تحولوا إلى قرود، مسخهم الله على هيئة القرود، جزاء ما فعلوا.. كبرت أذانهم، وطالت أظافرهم، وكثفت شعورهم.

﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ [الأعراف: ١٦٦].

فما مضت إلا بضعة أيام، حتى ماتوا جميعاً.

لقد كان هؤلاء مثلاً للعنة الله على الفاسقين.

﴿أَوْ لَعْنَهُمْ كَمَا لَعْنَا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ [النساء: ٤٧].

** الزمن التاريخي لهذه الأحداث:

لم يحدد القرآن الكريم زمن وقوع أحداث هذه القصة في مكانها، لكن بعض الرواة ومنهم الثعلبي في كتاب (عرائس المجالس) ^(١) ذكر هذه القصة خلال حديثه عن قصة نبي الله داود عليه السلام والذي كان عصره من سنة ١٠٤١ ق.م إلى سنة ١٠١٠ ق.م ^(٢).

(١) مجالس العرائس للثعلبي ص ٣٢٣.

(٢) أطلس تاريخ الرسل والأنبياء ص ٥٤.

الْقُرَيْشُ وَاللَّتَاءُ تَمْنَى الْكُفَّارِ أَوْ يَنْزِلُ الْقُرْآنُ عَلَى أَحَدٍ عَظِيمِهِمَا

وفي القرآن الكريم إشارة إلى هذه الحقيقة في قوله تعالى:

﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [المائدة: ٧٨].

وقد فسر بعض المفسرين هذه الآية: مثل الجلالين^(١)، بأن هذه الآيات تشير إلى أن نبي الله داود لعن هؤلاء القوم من بنى إسرائيل أصحاب السبت لما فعلوا، كما لعن عيسى ابن مريم بنى إسرائيل، وذلك في قوله تعالى:

﴿قُلْ هَلْ أَنْتُمْ بِشِرِّ مِنَ ذَلِكَ مُتُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْفِرْدَوْسَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٦٠﴾﴾ [المائدة: ٦٠].

نخرج من كل هذا أن أحداث قصة أصحاب السبت وقعت حوالي سنة ١٠٠٠ ق. م. خلال عصر حكم نبي الله داود عليه السلام.

على أننا يجب أن نشير هنا إلى حادثة أخرى وقعت في هذه المنطقة في صدر الإسلام.

دخلت الديانة المسيحية مدينة إيلة بعد ذلك.

فلما خرج الرسول ﷺ في جيش، العسرة، متجهاً إلى تبوك في رجب سنة ٩ هـ للقاء جيش الرومان.. جاء يوحنا بن روية حاكم إيلة من قبل الرومان، وقدم الهدايا للرسول، وصالحه على السلام، ودفع الجزية.

وكانت هذه الرحلة بداية لدخول الإسلام إلى مدينة إيلة بعد ذلك.

**موقع إيلة:

تقع مدينة إيلة والتي تعرف باسم إيلات شمال العقبة، على رأس خليج العقبة أحد ذراعي البحر الأحمر، وعلى الطريق بين الطور ومدین، تلتقى عندها حدود أربع دول عربية هي مصر والأردن وفلسطين والمملكة العربية السعودية

(١) تفسير الجلالين ص ١٣١.

نِينَوَى

وقصة يونس

﴿قُلْ لَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَتَنَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمٌ يُونُسَ لَمَّا ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ ءَآدَابَ الْآخِرِي فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَنَعْتَمُهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾﴾ [يونس: ٩٨].

﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٨﴾ إِذْ أَتَىٰ إِلَىٰ الْغَالِي السَّحُونَ ﴿١٣٩﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴿١٤٠﴾ فَالْتَمَسَهُ الْحَوٲ وَهُوَ مُبِيمٌ ﴿١٤١﴾ قُلْ لَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسِيحِينَ ﴿١٤٢﴾ لَكُنَّ فِي بَطْنِهِ إِذْ يَوْمَ يُنْعَوُونَ ﴿١٤٣﴾ فَبَدَّدَهُ بِالْعَرَا وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٤﴾ وَأُنزِلْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَقْطِينٍ ﴿١٤٥﴾ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِ مَن يَزِيدُوكَ ﴿١٤٦﴾ فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٧﴾﴾ [الصافات: ١٣٩ - ١٤٨].

** الأحداث التي وقعت في هذا المكان :

كان أهل مدينة نينوى يعبدون الأصنام، جحدوا فضل الله الذي أسبغ عليهم رزقه، وأجزل لهم سعادتهم، بعث الله إليهم نبيًا هو يونس^(١)؛ ليدعوهم إلى الرجوع إلى الله، ونبذ عبادة الأصنام، وترك الموبقات والفواحش التي كانوا يرتكبونها، لكنهم لم يستجيبوا لدعوته، واستمروا على كفرهم وفسقهم وضلالهم، ورفضوا التوبة والإنابة إلى ربهم، وأنكروا على يونس نبوته، وأهانوه، وانصرفوا عنه إلى عبادة أصنامهم، وقالوا له: ما نراك إلا بشرًا مثلنا.

غضب يونس من أهل نينوى، وغادر مدينتهم، واتجه إلى الشاطى، ليركب سفينة نقله؛ إلى مكان بعيد عن هؤلاء الكفار، مغاضبًا عليهم لربه^(٢).

(١) يونس (يونان) بن متى (أمه)، ويقول أهل الكتاب ابن أمثاي (العهد القديم سفر يونس الإصحاح الأول) ويونس يعرف باسم (نو النون) وصاحب الحوت، ينتهي نسبه إلى بنيامين بن يوسف عليه السلام.
(٢) يقال إن يونس كان يقصد الهرب إلى مدينة ترشيش إحدى المدن الفينيقية (البنان). (قصص القرآن الكريم للشيوخ عبد الوهاب النجار).

الْقَرْيَتَانِ اللَّتَانِ تَمَّتْ الْكُفَّارَةُ يَنْزِلُ الْقُرْآنُ عَلَى أَحَدٍ عَظِيمِهِمَا

ركب يونس السفينة، لكن ريحا عاصفة واجهتها، مما دفع ربانها إلى الإعلان عن التخلص من أحد ركابها، لنقل حمولتها، وعملوا قرعة، ف وقعت على يونس؛ فألقوه في البحر.

التقم الحوت يونس، ابتلعه في جوفه، شاء الله ألا تمس أسنان الحوت يونس بأذى.

وما يملك يونس وهو في بطن الحوت إلا أن يُسَبِّحَ ربه، يناديه:

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (الأنبياء: ٨٧).

استمر يونس في بطن الحوت يسبح الله، ويدعوه ثلاثة أيام، استجاب الله لدعائه، ولفظ الحوت يونس في العراء عاريا.. وحيدا، وأنبت الله عليه شجرة اليقطين (القرع) تدفئه، وتدارى عورته، حتى تحسنت صحته.

مرة ثانية.. بعث الله يونس إلى قوم نينوى، يدعوهم إلى عبادة الله، وأنذرهم إذا لم يؤمنوا خلال أربعين يوما، سينالهم من الله العذاب الشديد.

اهتدى أهل نينوى، وأنابوا إلى ربهم، خوفاً من عقاب الله لهم، آمنوا بالله، وتضرعوا إلى الله أن يعفو عنهم ويسامحهم.. حتى ملكهم كان من التائبين، وصاموا^(١) ثلاثة أيام، إعلاناً عن إيمانهم، ورجوعهم إلى الحق.

لذلك شاء الله أن يعفو عنهم، ومتعمهم بالحياة والأمن والسعادة.

كان ذلك بفضل هداية الله لأهل هذه القرية نينوى التي نفعها إيمان أهلها.

** زمن هذه الأحداث:

كانت حياة يونس عليه السلام من سنة ٨٢٠ ق.م - ٧٥٠ ق.م^(٢).

(١) يعرف هذا الصيام بصوم نينوى، أو صوم يونس، ينوم ثلاثة أيام، يقطع الصائم فيه تماماً عن الأكل والشراب، ويتفرغ للعبادة، وهو مناسبة لرحمة الله لأهل نينوى بعد إنذار نبي الله يونس لهم. (المنجد ص ٥٤٦).

(٢) أطلس تاريخ الأنبياء والرسل ص ٥٥.

وكانت بعثته سنة ٧٨٠ ق.م.

أى أن هذه الأحداث وقعت حوالى سنة ٧٧٠ ق.م.

«موقع مكان هذه الأحداث:

مدينة نينوى: إحدى مدن العراق القديمة، تقع شرق نهر دجلة، كانت ذات يوم عاصمة الدولة الآشورية القديمة، تقع بالقرب من الموصل (وبالموصل مسجد باسم النبي يونس).

وهي تقترب من نهر الزاب الأسفل، أحد روافد نهر دجلة الذي يفيض ماؤه في فصل الربيع بسبب ذوبان الجليد الذي تكون على الجبال الواقعة شرق العراق والتي هي امتداد لجبال زاغروس.
